الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص نقد أدبي حديث ومعاصر

بعنوان :

نظرية الشعر عند القاضي الجرجاني وقضاياه

إعداد الطالبة:
– ليدريسي خيرة

إشراف الأستاذ:
د– مكروم السعيد

السنة الجامعية: 2018 – 2019

الإهداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل اِعمَلُوا فَسَيَرَى اللَهُ عَمَلَكُم وَ رَسُولِه و المُؤمِنُون)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك .... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك...ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله ﷻ.

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة ... ونصح الأمة ....إلى نبيّ الرحمة و نور العالمين ...

سيدنا محمد ﷺ

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار.... إلى من علمني العطاء بدون انتظار ... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ...أرجوا الله أن يمد في عمرك لترى ثمارًا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد و إلى الأبد .... والدي العزيز حفظه الله .

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني ...إلى بسمة الحياة وسر الوجود.

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب ....أمي الحبيبة حفظها الله .

إلى من بها أكبر و عليها أعتمد ....إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي ....إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ....إلى من عرفت معها معنى الحياة .....أختي نبيلة حفظها الله .

إلى من أسند إليهم في مواقف حياتي و رفقاء دربي .... وهذه الحياة بدونهم لا شيء إخوتي علي , شعبان , أيمن حفظهم الله .

إلى من عشت معها نفحات الوفاء و الحب إلى أعز الصديقة " نورة " , ورفيقاتي " إيمان , أميرة , حكيمة , غنية ", إلى كل من جمعني القدر بهم يوما ونسيت أن أذكر أسمائهم.

إلى الروح التي سكنت روحي خطيبي " أحمد بسيدا " حفظه الله , وإلى كل عائلته الكريمة .

إلى جدتي وجدي لطالما دعا لي طوال مشواري الدراسي بالخير والتوفيق حفظهما الله و أطال في عمرهما .

إلى كل من يحمل لقب " ليدريسي" , إلى كل من يحمل لقب " شريف " , إلى كل من يحمل لقب " بسيدا " .

إلى كل من يعرفه " خيرة ليدريسي " من قريب أو بعيد .

شكر وتقدير

نحمد الله على توفيقه وامتنانه , ونشكره على إعانته وتيسيره , ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله و أصحابه . أما بعد :

انطلاقا من قول رسول الله _ ﷺ _: << لا يشكر الله من لا يشكر الناس >>

وقوله _ ﷺ _ : < ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه , فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه >>.

فإنا نتقدم بشكرنا الخالص الجزيل للدكتور " السعيد مكروم " المشرف على هذه المذكرة الذي لم يبخل علي بجهده في إعانتي , و إبداء ملاحظاته القيمة و توجيهاته السديدة , و إعطائي الكثير من وقته , أشكره لأعترف بتقصيري في حقه ولا أملك إلا الدعاء له بالتوفيق و أن يجازيه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر العميق لكل الأساتذة والزملاء والأصدقاء , وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل بأفكارهم ووقتهم سائلة المولى عز وجل أن يجازي الجميع بالخير , و أن يجزل لهم المثوبة , آمين ..... إنه سميع مجيب الدعوات.

مقـــــدمة

مقدمة:

كان من فضل الله أنه منحنا القوة و الصبر الجميل على أن ننجز هذا العمل المتواضع, فالحمد لله لا شريك له حمدا يقربنا إلى رضوانه و صلاة الله وسلامه على نبيّه مُحَمَّد ﷺ صلاة تزلفنا إلى جنّته.

من المعلوم أن الشعر العربي بدأ بالظهور منذ العصور القديمة , وارتبط الشعر القديم بالعمل الجماعي , والذي تمثل برحلات الصيد والتقاط الثمار , وتأدية مجموعة من الأعمال وقاد هذا إلى ظهور الأعطيات البدائية , وكانت إيقاعاتها تنظيما لحركات الأداء العملي , وكان العمل الجماعي يقتضي إيقاعا معينا و أصواتا وكلاما ينظم وحدة العمل ,اتضح أن تعريف الشعر لدى العرب بارتباطه بالنظرة الشكلية أي الاهتمام بالشكل الخارجي للشعر وتميزه عن النثر , وبناءًا على هذا تبيّن أن الشعر كلام مركب وفق نسق نظمي معين , و إيقاع مضبوط و ملامح محددة ونظام موسيقي خاص , وينفرد الشعر بجميعها , ولعلّ ما يميز الشعر عن النثر هو تحرر النثر من جميع هذه الأمور , فقد عرف النقاد العرب تعريفات متعددة للشعر من خلال عدة كتب أصدروها بمختلف الأشكال والألوان , فالشعر عند العرب بصفة عامة هو كل شعر كتب ووزن باللغة العربية ,فقد قسم هذا الأخير إلى عدة أقسام وهي : الجاهلي ,الإسلامي , الأموي , العباسي . الأندلسي , والمعاصر , ولكل قسم من هذه الأقسام خصائص و مميزات تختلف باختلاف الشعراء و الزمان والمكان والأوضاع.

وما نركز عليه في بحثنا هذا هو القسم الذي يوافق القرن الرابع هجري , وهو العصر العباسي حيث ازدهرت حركة التأليف الأدبي فيه , التي كانت عامل رئيسي في تطور الحركة النقدية , ومن هنا شهد هذا القرن صراعات وخصومات التي كان سببها ظهور ثقافات جديدة تمتزج فيها ثقافات متنوعة أثرت كلها في الأدب والنقد , بحيث ظهر على أثرها تياران اثنان : أحدهما يناصر القديم والثاني يناصر الحديث.

والدافع الذي دفعنا إلى اختيار موضوع " نظرية الشعر عند القاضي الجرجاني و قضاياه " راجع إلى الاهتمام بالنظريات الفلسفية التي تؤسس الأدب , وقد لفت انتباهي الاهتمام الذي أولاه الفلاسفة المسلمون قديما لما يتصل بالشعر و قضاياه .

ومن هنا يمكننا طرح عدة إشكاليات تقودنا إلى كشف ما وراء هذا الموضوع والتي يمكننا صياغتها كالآتي:

- شكل مفهوم الشعر أحد المشكلات والقضايا التي تؤرق الحياة النقدية , فنا هي حدود هذا المفهوم
- هل شكلت تحولات الحياة الفكرية بين القديم والمحدث علامات فارقة في تحول النص الشعري
- إلى أي مدى ساهم التطور الحضاري و العصري في التحول و الارتقاء بالنقد الأدبي كمنهج و آليات

ولقد واجهت صعوبة في اختيار المنهجية الملائمة لهذا الموضوع , فلم أتبع منهجا محددا , وإنما رأيت من الحكمة أن أستفيد من مناهج نقدية متعددة , مثل المنهج التحليلي الوصفي والتاريخي و النقدي , ولعل ما أملا عليّ هذا الاختيار هو تعدد القضايا المدروسة واختلافها ولكن يمكن القول بأنني نهجت المنهج الوصفي التحليلي معتمدة على المنهج النقدي الاستقرائي وهذا للوصول إلى دراسة متكاملة للموضوع .

كما أنني استعنت لإنجاز هذا البحث بمجموعة من الكتب التي تنوعت واختلفت يمكنني أن أذكر بعضها المتمثلة في المصادر التراثية : ككتاب " الموازنة " للآميدي الذي يعد بحق أستاذ " القاضي الجرجاني " في التنظير والتطبيق لبعض القضايا النقدية و البلاغية , وكتابي الجاحظ : " البيان والتبيين " و " الحيوان " بأجزائهما المختلفة , وكتاب " الشعر والشعراء " لابن قتيبة , و كتاب " عيار الشعر " لابن طباطبا العلوي " و" الصناعتين " لأبي الهلال العسكري , وإضافة إلى كتب أخرى أسهمت في استكمال البحث و تدعيمه بالشواهد النظرية و التطبيقية .

توزعت خطة البحث بعد هذه المقدمة إلى مدخل حول الموضوع , وفصلين , في كل فصل عرض لأصداء واحد من المصطلحات النقدية الحديثة في النقد العربي القديم علو وجه العموم , إضافة إلى خاتمة عرض فيها أهم ما تم التوصل إليه من نتائج عبر مراحل البحث.

مقدمة:

فقد تناولت في الفصل الأول الذي عنونته بنظرة النقاد القدامى للشعر , حيث حاولنا الإلمام و الشمول بتعريف حدود وماهية الشعر عند بعض الشعراء الذين سبقوا القاضي " الجرجاني " , فوقف في هذا الفصل عند مفهوم الشعر عند كل من الجاحظ ,وابن طباطبا , وابن قدامة , أما الفصل الثاني فقد عنونته بمفهوم الشعر عند القاضي الجرجاني وقضاياه , فقد وقفت في هذا الفصل عند كل من مفهوم وقضايا ومقومات الشعر عند القاضي الجرجاني , كما توقفت أيضا عند بناء القصيدة وخاتمتها .

أما الصعوبات التي اعترضتها أثناء تناولي لهذا البحث فهي وفرة وكثرة المصادر والمراجع التي تخدم هذا النوع من المواضيع , مما صعب عليّ التوفيق بين الأفكار وإلمامها وشملها , ولكن بفضل الأستاذ المشرف الذي أشكره جزيل الشكر على جهده المبذول فلولاه لما وصلت إلى هذا الموصل فجزاه الله كل خير أن شاء الله .

والله نسأل أن يلهمنا السداد في القول والعمل والفكر وهو حسبنا و نعم الوكيل .

مـــــدخل

مدخل:

يمثل القرن الرابع هجري محطة هامة في تاريخ الأدب العربي ونقده , وهي محطة ساهمت بما سخرت به من علماء وأدباء ونقاد في إثراء الكتاب العربي بصفحاته , اختلط فيها هؤلاء نصوصهم الإبداعية والنقدية البسيطة الساذجة والواعية الممنهجة الانفعالية العابرة ,والحيوية القيمة [1].

خلال هذا القرن ازدهرت الحركة الشعرية ازدهارا فرضته ظروف عدة , أحاطت بالنص الشعري في أبسط تكويناته , لعلّ أهمها : التطوير الحضاري الذي انتقل بالبيئة العربية آنذاك من سمات البساطة والبداوة إلى ملامح التعقيد والحضارة , وهو ما أسهم بشكل كبير في ظهور إشكالية حياتية وعلمية وعملية ,تتراوح حدود صياغتها بين القديم والجديد , وهي معادلة ألقت بظلالها التأثيرية على مستوى الروح الإبداعية , والممارسة النقدية في قراءة إنتاج الروح , ممارسة تأسست على مقاربة جدلية مبنية على لغة الحوار النظري الإجرائي كتبت حروفها في ميزان النقد بين الإبداع والتلقي [2] .

كما شهد هذا القرن حركة تفسير الشعر حيث أنه كان ذا نشاط واسع يشترك في تكوينها ألوان الثقافات المختلفة , لأن التفسير في هذه الفترة لم يقف عند التفسير اللغوي والإعراب النحوي فحسب , بل تجاوزته إلى عرض الروايات المختلفة , وشرح المعنى بصورة متعددة وعناية التفسير بالنواحي الأدبية والنقدية والبلاغية في أثناء تحليلاتهم لمحتوى النص الشعري , والموازنات والمقاربات مع بعض الإشارات النقدية , هذا بالإضافة إلى الطريقة المنهجية التي سلكها المفسرين في ترتيب القصائد المشروحة على حروف المعجم .

وعليه فإن هذا القرن تمتع بمكانة خاصة , فقد شهدت بدئ التدوين النقدي الرسمي المنهجي , وتمثل بعدد من الكتب و المؤلفات النقدية التي كان أبرزها : " عيار الشعر " لابن طباطبا , و " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " للأميدي , و " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني , و " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر والملاحظ على شكل النشاط النقدي أنه نشاط نظري تطبيقي , ويتمثل السبب الآخر في رقي الحياة العقلية والثقافية في هذا القرن بنشاط حركة الشعر وظهور حركة التحديث في نظمه , فقد بدأت فنون العلم تتفرع وتتمايز , وإن تشابكت داخل منظومة معرفية نزعت منزع الاستقرار [3] خلال أواخر القرن الرابع الهجري .

وفضلا عن ذلك شهد هذا القرن بروز عدة شخصيات نقدية التي أخذت اهتماما كبيرا لدى الكثير من النقاد والأدباء والشعراء الذين جاؤوا بعدهم نذكر منهم الأميدي الذي كان صورة للناقد المتمرس , كما ظهر ابن

---

[1] ابن طباطبا: عيار الشعر , تحقيق عباس عبد الستار , دار الكتب , ط 1 , بيروت , 1982 م ص 27.

[2] زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دار المعارف , بيروت , د ط, 1975 م ' ص 43.

[3] ابن تغزي بردي : النجوم الزاهرة ,دار الكتب المصرية , القاهرة , د ط , 1956م , ص 66.

سلام في " طبقات فحول الشعراء " كما تمت محاور في النقد جديدة تتمثل في مذاهب الشعراء المحدثين (البحتري , أبو تمام , المتنبي) خلفت حولها اختلافا وليس خصومة , حيث طرأت عل البنية النقدية العربية تحولات بين الشاعر والناقد أو بين الباحث والمتلقي , وقد أظهرت هذه الأخيرة ثلاثة نقاد بارزين , الذي كشفوا عن نسق التحولات الشعرية وهذا بفعل التلقي الذي تبلور في نظراتهم النقدية , مثلا " عيار الشعر " لابن طباطبا ليس عيارا لإنتاجه بل هو عيار لتلقيه من جهة أخرى , فهو يرى أن الشعر صناعة كما كان يراه الجاحظ قبله لكن تميز عنه بأن تحدث عن أصول صناعة الشعر و نظمه , من هنا بدأ التلقي يخضع لأعراف جديدة تحكمها السلطة المعرفية للناقد , فقراءة الشعر المحدث تستلزم قراءة من نوع خاص تخلو من طرقهم المعروفة في تلقي الشعر فلم يعد الشعر يستجيب لقارئ سطحي لا قدرة له على التأويل و البحث في ما وراء الألفاظ وصولا إلى طبقات المعاني التي يخلفها النص بفعل طبيعته الخاصة [1].

خلف القرن الرابع الهجري ذخيرة من الكتب النقدية المختلفة الاتجاهات , وقد صنفناها إلى مجموعات بحسب موضوعاتها , ومناهجها , ومنهت مصنفات ذات الطابع النظري ويمثلها " عيار الشعر " لابن طباطبا و " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر , كما نجد مصنفات ذات طابع تطبيقي المتمثلة في " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " للآميدي , و " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني , وتبعا لتنوع ألوان الحركة النقدية في هذا القرن وتنوع اتجاهاتها تعددت أسس النقد عند أصحابها [2],غير أن مع ذلك يمكن الإشارة إلى أهم الظواهر والخصائص التي جعلت هذا القرن يتطور ويزدهر وهي :

– امتياز النقد الأدبي في هذا القرن بالناحية الموضوعية التي تستند إلى المبادئ و القواعد المنظمة التي تحد من طغيان الذوق الشخصي فحاول النقاد ولا سيما منهم التطبيقيون , ومن خلال دراستهم أن يعمقوا نظرتهم اعتمادا على التحليل , والإكثار من الشواهد وتنويعها , والمقارنة واستنباط الخصائص من النصوص .

– كما نلاحظ أن نقاد هذا القرن نقلوا عن سابقيهم , ولكنهم لمن يأخذوا بآرائهم دون مناقشة أو تعديل بل أخذوها وحلوها تحليلا يحمل في ثنياه وتضاعيفه ملامح التجديد , ووجهات النظر القضية مفهوم الشعر والطبع والصنعة , والقديم والحديث , ووحدة القصيدة والذوق الفني , والسرقات .... فقدموها في منهج خاص , وعرض جميل .

[1] ابن خلدون: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, لجنة التأليف و الترجمة و النشر , جامعة القاهرة , د ط , 1939م ,ص 122.

[2] ابن عذارى المراكشي , البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس و المغرب , دار الثقافة , بيروت , د ط , 1983م , ص 43.

مدخل:

– ضرب نقاد هذا القرن في بعض الآفاق الجديدة , وتعرفوا على ملامح فاتت إدراك السابقين فرأينا الأميدي والقاضي الجرجاني يتناولون مصطلح عمود الشعر الذي كان يبدوا في نطاق الصراع حول القديم والحديث , وكان لكل واحد منهم تصوره الخاص به الذي يخالف الآخر في جوانب ويلتقي معه في جوانب أخرى , فنظرية عمود الشعر عند الأميدي مستنقاة من الشعر القديم الجاهلي , فكل إبداع يخالف القدماء فهو مردود مرذول , ولكنه اتسع وفتح صدره لكل وافد جديد إذا أصبح حدثا نقديا مركزا حول مجموعة من المعايير الفنية التي يقوم الشعر إلا بها سواء كانت قديما أو حديثا , وهذا ما وقع عليه رأي الجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه .

– إتباع نقاد هذا القرن مناهج متنوعة فكان منها الوصفي ولمقارني , والتاريخي , ولسرقاتي , والتحليلي مع الأخذ بعين النظر أن الناقد الواحد كان يتبع طرائق عدة للوصول إلى الأحكام النقدية .

– لم يكن نقاد هذا القرن مبدعين فقط على مستوى الآراء و الأفكار و المنهج, وطريقة أو خطة الكتب, وإنما كانوا أيضا مبدعين في الأسلوب, وطريقة التعبير و الألفاظ و المصطلحات[1] .

– إهمال بعض كبار النقاد والأدباء في هذا القرن النقد الحديث عن شخصية المتنبي إهمالا كليا كالأميدي الذي لم يتعرض له بكثير ولا بقليل على الرغم من أنه لم يقصر كلامه على الاستشهاد بشعر القدامى بل استشهد بشعر المحدثين أثناء مناقشته لمذهب أبي تمام والبحتري والموازنة بينهما فلم تظفر له ببيت واحد استشهد به من شعر المتنبي .

– الإقرار بأهمية الذوق المثقف معيارا للحكم النقدي عند الأميدي والقاضي الجرجاني , الذوق الذي تشكل في إطار القصيدة الجاهلية حتى أصبح لهذه القصيدة تقاليد جمالية معروفة ترسخت في الذوق العربي , وأصبحت معايير تعرض عليها الأعمال الإبداعية عرفت بمسميات مختلفة منها : " طريقة العرب ",و " ما ألفته العرب " و " ما جرت به العادة " , ثم جمعت هذه التقاليد الجمالية النقدية في نص واحد عند القاضي الجرجاني , ثم توسع فيها بعده المرزوقي تحت مصطلح " عمود الشعر العربي " و وبهذا تحول النقد في القرن الرابع الهجري إلى نقد معياري تسبق فيه القاعدة الشاهد الشعري .

– ظهر في هذا القرن اتجاه نقدي توسع توسعا بالغا في التفنين , فوجه كل جهوده إلى وضع قواعد " الجودة والرداءة " , وبناء أحكام النقد في أسس عقلية منطقية , وحاول في الحكم على الشعر , من أبرز نقاد الشعر

[1] أسامة عانوني: الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر , بيروت , المطبعة الشرقية , د ط , د ت , ص 15.

في هذا الاتجاه نجد " قدامه بن جعفر " في كتابه " نقد الشعر " الذي تحول النقد على يده إلى علم تلخيص جيد الشعر من رديئة عقلية صرفة , أو قد احتذى قدامه لتحقيق مراده نهج استقرار التام للظاهرة [1].

[1] ابن خلدون : المرجع السابق ص 123.

الفصل الأول :

الشعر عند النقاد القدامى

- ✓ تمهيد
- ✓ المبحث الأوّل : حدود وماهية الشعر قبل " القاضي الجرجاني ".
- ✓ المبحث الثاني : الشعر عند :
  - الجاحظ.
  - ابن طباطبا .
  - قدامة بن جعفر .

تمهيد:

شكلت قضية الحداثة محورا لتطور ونضج الحركة النقدية العربية القديمة, كما شكلت سبيلا لظهور عديد من القضايا النقدية التي تصب في معالجة ومواجهة النص الشعري في بنائه وتكوين عناصره الجمالية ومحور هذه القضايا هي قضية القديم و المحدث , بحيث هذان الأخيران مظهران حياتيان يتمايزان موضوعيا عبر الصلة بالأبعاد الزمنية , من حيث سبق المظهر الأول وتقدمه و يحكمهما صراع دائم تفرضه حركة الحياة المستمرة بفعل صيرورة الزمان و تغير اطر المكان , ويقضي هذا الصراع بأن يترك المظهر المحدث مكانه لمحدث آخر , وبذلك يولد صراع جديد طرفاه قديم ومحدث ناشئان , ومن ثم يسيران تبعا للنسق الذي تفرضه ظواهر الحياة وقوانينها.[1]

وعلى هذا الأساس بدأ الشعر العربي القديم يتغير في أوائل القرن الثاني للهجرة , حيث أخذ النقد الأدبي من ذلك العهد يخوض فيها جاء به المحدثون فعندما جاؤوا بالجديد وجدوا في النقد مشاكل لم تكن من قبل ,و كلما أمعنوا في الابتعاد عن روح القديم أمعن النقاد في التخاصم و الجدل ففي الأدب عهدان طويلان يشترطانه إلى شرطين ,عهد القدامى وعهد المحدثين.[2]

فعهد القدماء يشمل العصر الجاهلي و الإسلامي, ففي أواخر القرن الأول للهجرة بدأت الحضارة الإسلامية تدخل طورا جديدا من التفاعل مع شعوب وحضارات الأمم التي دخلت الإسلام.[3]

بدأ العرب يجدون في جمع تراثهم الروحي , وكان من البديهي أن ينصرف أول جهدهم في المحافظة على لغتهم من العامية التي أخذت تنتشر بعد الفتوحات و على سلامة تلك اللغة كان يتوقف فهمهم لمصادر دينهم

[1] خليل أبو جهجه :الحداثة الشعرية العربية "بين الابداع و التنظير والنقد " دار المركز اللبناني _بيروت _لبنان_ط1_1995م_ص27.
[2] طه أحمد ابراهيم :تاريخ النقد الأدبي عند العرب " من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري " د ط_د ت_ص88.
[3] المرجع نفسه ص 87.

وهو أعز ما يملكون ولذا حرص علماؤهم على كتابة الشعر القديم , حيث كانوا يتخذونه كحجة في تفسير القران الكريم والحديث , فالارتباط الشعر بالدين هو السبب الأكبر في انتصار للقديم[1]

أصبحت التجربة الشعرية تصدر عن مفاهيم أخرى وقيم جديدة فاختنقت التجربة بأبعادها الجديدة داخل شكل البناء القديم , وتطلع الشعراء إلى قوالب جديدة للقصيدة العربية ,وهذا ما قامت به الدولة العباسية [2] على أكتاف الأعاجم التي كانت مختلطة بنوع جديد من الحياة الترف واللهو بحيث هذه الحياة لم تعد تتفق مع المواد والمعاني المتوارثة من القصيدة الجاهلية التي كانت محدودة في عالم ضيق .

وتبعا لذلك اتضح لنا أن النقد العربي القديم قد أرجع أسس حركة الحداثة الشعرية إلى " بشار بن برد " الذي يعد من الشعراء المحدثين [3]. و " أبي نواس " الذي حافظ من خلال قصائده على الهيكل القديم وشكله.لكنه لم يتخلى عن مظاهر التجديد والإبداع في مجال الفني والمعنوي.ولا على الوجه البلاغي فهو في شعره يعبر عن الذات وعلاقتها بالواقع.

كما انه نضجت معالم التجديد الإبداعي مع أبي تمام الذي ترك في الشعر العربي مذهبا متميزا, بحيث نظم قصيدته على بناء الشكل الذي تعارف به الشعراء فنظامه امتياز بعناصر جديدة و جريئة.ومن هنا أطلق عليها النقاد بمذهب "أبي تمام"أو مذهب المحدثين.[4]

كما أحدث المتبني معركة أدبية بظهوره على مسرح الشعر العربي في الحياة الأدبية آنذاك. حيث ظل يتردد على مسامع الكثير من النقاد نجد والشعراء الذين أتوا من حتى يومنا هذا.[1]

[1] محمّد مندور" النقد المنهجي عند العرب" – دار النهضة _مصر للطباعة والنشر والتوزيع _ القاهرة_مصر_ د ط_1996م_ص 76.

2 –عبد الله بن حمد المحارب : ابو تمام بين ناقديه قديما وحديثا "دراسة نقدية لمواقف الخصوم والانصار " مكتبة الخانجي _ القاهرة_ مصر_ ط_1992م_ص57.

[3] ابن قتيبة: الشعر والشعراء_دار إحياء العلوم_بيروت_لبنان_ط3_1987م_ج2_ص757.

[4] خليل ابو جهجه: الحداثة الشعرية العربية ص34.

ومن بين النقاد نجد " القاضي الجرجاني" الذي قال عنه :<< وقد أذهل هذا أيضا الكثير من النقاد وصرفهم عن خصامهم النقدي حول الطائيين اللذين بدوالهم متقاربين في النهج الشعري بالقياس إلى نهج هذا الشاعر.الذي رأى فيه بعضهم خروجا على الأعراف الفنية واللغوية للشعر العربي>>.[2]

ومن هنا هدأ الوضع وخفت ريح الخصومة "حول أبي تمام" في منتصف القرن ومن ذلك ظهر "المتنبي" فهذا الأخير أصبح مصدر حيرة كبيرة للنقد والذوق العام معا ,بحيث أنه جمع بين القديم والحديث [3] , فشعر كان يندرج في إطار الحداثة الشعرية فهو لا يمثل مذهبا شعريا " كأبي تمام " و البحتري , فالمتنبي يمثل حركة إبداع جديدة في الممارسة الكتابية , وضمن هذه الحركة الجديدة تجسدت وبقوة قضية الصراع بين القديم والمحدث ,فشعر المتنبي ملأ الدنيا وشغل الناس لأنهم كانوا يرون فيه إبداعا شعريا قل نظيره في الشعر العربي.[4]

ومن هنا نسلط الضوء على الشاعر **"القاضي الجرجاني"** الذي اتخذ هذا الشعر محورا أساسيا ينطلق منه ليعود إليه في مناقشة وتفسير مختلف القضايا النقدية التي ناقشها في كتابه الوساطة حول "المتنبي" وخصومه ,حيث وقف بين القديم والحديث وقفة وسطية ,وناقش قضايا النقد في عصره وفق هذا الصراع, فهو لا يسارع إلى رفض القديم لقدمه انتصارا للحديث جملة ولشعر"المتنبي " خاصة,وإنما هو يبسط ما يراه في هذ هـ القضية التي شغلت النقاد قديما موجها إياها وجه أخرى.[5]

1- عثمان موافي :الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم"تاريخها وقضاياها" دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع _الاسكندرية _مصر _دط_1998_ص95.

[2] القاضي الجرجاني :الوساطة بين المتنبي وخصومه ص434.

[3] خضر موسى مُحَمَّد محمود:موازنة الاميدي ووساطة الجرجاني _عالم الكتب للطباعة والنشر _بيروت _لبنان_ ط1_2007م_ص29.

[4] عثمان الموافي: م س 435.

[5] الثعالبي :يتيمة الدهرفي محاسن أهل العصر دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان_ط1_1983_ج1_ص164.

1- المبحث الأوّل:

أ- حدود وماهية الشعر قبل القاضي الجرجاني:

إنّ لكل عصر أدبي مفاهيم خاصة للشعر,ولكل مرحلة تاريخية مذهبها الأدبي ,وقد تجاوز المذاهب الأدبية في عصر واحد دون أن يتفق على مفهوم محدد للشعر, وهذا يعني بأنه يتعدد مفهومه بتعدد المكان والزمان والمذاهب ,ويتعدد أيضا بتعدد الشعراء والنقاد في المدرسة الأدبية الواحدة [1],ومن المسلم به أن الاختلاف حول المفهوم رافق الشعر منذ ظهوره بحيث ظل يرافقه طول الزمن حتى تعذرت حدود وطبيعة فنه.[2]

فالشعر ببساطة هو ما ورد عند أهل اللغة في المعاجم منها: " لسان العرب " الذي جاء فيه في مادة الشعر: << الشعر منظوم القول, غلب عليه, لشرفه بالوزن والقافية وربّما سمّوا البيت الواحد شعرا>>.[3]

ولقد ذكر لفظ " شعر" في القران الكريم مرة واحدة :في قوله : {وَمَا عَلَمْنَاهُ الشِّعْرَ وِ مايَنْبَغَى لَهُ ,إِنَّ هُوَ إِلاَ ذِكْرٌ وَ قُرآنٌ مُبِينٌ }[4], جاءت هذه الآية الكريمة رداً على الموقف الجاهلي الذي يخلط بين القرآن والشعر ,وبين الموقف الإيماني الذي يقصد إليه القرآن الكريم والموقف الجمالي الذي يقصد إليه الشعر [5],حيث بيّن وظيفة المبلغ و وظيفة الشاعر.

أما الشعر عند أهل الاصطلاح فيقترب مما جاء من الآراء النقدية التي تصب في إطار وضع حدود لهذا المفهوم.

---

[1] فاتح علاق:مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر_منشورات اتحاد الكتاب العرب _دمشق_سوريا_د ط_2005م_ص123.

[2] مفتاح عبد الجليل :نظرية الشعر المعاصر في المغرب العربي ,مكتبة الأدب _القاهرة_مصر_ط1_2007م_ص 59.

[3] ابن منظور _ لسان العرب_ جمال الدين _ج4 _دار صادر_بيروت_دط___ص410.

[4] القرآن الكريم ,برواية حفص _سورة ياسين الآية 69.

5- عيسى علي عاكوب :التفكير النقدي عند العرب "مدخل إلى نظرية الأدب العربي"الفكر المعاصر_بيروت_لبنان_دارالفكر_دمشق_سوريا_ط1_2000م_ص45.

2- المبحث الثاني :

تختلف الآراء لبعض النقاد الذين جاؤوا قبل "القاضي الجرجاني" والتي يمكننا نوردها فيما يلي:

أ_عند الجاحظ (ت225 هج):

يقول الجاحظ في مفهوم الشعر:<<المعاني مطروحة في الطريق,يعرفها العربي والعجمي ,والبدوي والغزوي, وإنّما الشأن في إقامة الوزن,ويخيّر اللفظ , وسهولة المخرج, وكثرة الماء, وفي صحة الطبع وجودة السبك, فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير>>[1].

يبيّن هذا القول أنّ الشِّعر في نظر الجاحظ يرتكز على أهمية الشكل عل حساب المضمون حيث تتحد عناصر الشعرية عنده في : الوزن ,اللفظ ,سهولة المخرج ,كثرة الماء ,والطبع وجودة السبك, فالإبداع الشعري تخيير وترتيب للفظ وصياغته ببراعة للوصول إلى استجلاء المعاني ,وهنا تكمن الشعرية, وما يلخص قول الجاحظ هو أن الشعر نوع من الكلام موقع موزون ,متناسق الأجزاء متخيّر اللفظ ,رصين العبارة,سهل المأخذ ,حيوي بالصورة.[2]

الجاحظ يؤكد على أهمية الصياغة في التكوين الشعري وأداء معانيه وحمل دلالاته,كما يرى أنه لكي يدرك الشاعر أعلى درجات الجودة في الصناعة الشعرية التي شبهها بالنسيج والتصوير ,فإن عليه تجنب التنافر في ألفاظ شعره, وأن يكون لشعره ما يسمى بالقران, كما يدعوا أيضا إلى وضع الألفاظ التي تتناسب مع المعاني المختلفة, ويستدل على رأيه في تنافر الألفاظ بما قاله الأصمعي من أن بعض الألفاظ تتنافر مع بعضها البعض ,وأنها إذا استخدمت معا في بيت من الشعر أنه من الصعب إنشاده كما هو مبيّن في البيت الآتي:

وقَبرُ حَربٍ بِمَكَانِ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبِ قَبْرٍ.

[1] الجاحظ :الحيوان _دار الكتاب العربي _بيروت _لبنان_ط2_1965م_ج3_ص132.

[2] المصدر نفسه ص 131.

ومن هنا يقول الجاحظ عن هذا البيت انه لا يمكن لأحد أن ينشده ثلاث مرات متتالية إلاّ بصعوبة وتأني شديد, حيث أورد مثالا آخر على تنافر الألفاظ وهو قول مُحَمَّد بن يسير:

لَمَ يَضُرُهَا وَالحَمْدُ لِله شَيءُ وَانثَنَت نَحوَ عَزفِ نَفسِ ذَهُولُ.

وعلق الجاحظ على عجز البيت بأن بعض ألفاظه يتبرأ من بعض ,وهو يرى أن مثل هذا الشعر هو ما يشير إليه البيت الذي أنشده خلف الأحمر وهو:

وَبَعْضَ قَرِيضَ القَوْمِ أَولَادَ عِلَّةٍ يَكِّدُ لِسَانُ النَاطِقُ المتَحَفِظُ.

وهو أيضا يمثل نوع الشعر الذي أشار إليه أبو البيضاء الريا حي في قوله :

وشِعْرُ كبعير الكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَه لِسَانٌ دَعِيَّ فِي القَرِضْ دَخِيلٌ.

والبيتان كما هو واضح يشيران إلى ما عناه الجاحظ من تنافر الألفاظ ,وفي المقابل يرى أن الشعر الذي يخلو من ذلك التنافر نجد ألفاظه موافقة لبعضها تماما , وأنها سهلة النطق مجموعة , كما أن حروفها منسجمة مع بعضها وفي تآلف تام من غير تنافر ,فالبيت في مثل هذا الشعر يبدوا وكأنه كلمة واحدة, و الكلمة الواحدة وكأنها حرف واحد, ثم أن أجزاء هذا الشعر تكون شديدة الترابط يسهل الانتقال بينها, كأنها قطعة من النسيج الواحد وهي سهلة الإنشاد كسهولة جريان الدهان على اللسان [1] ,وخير مثال على ذلك ما أورده الجاحظ من قول لأجرد الثقفي:

مَنْ كَانَ ذاَ عَصْدٍ يُدْرِكُ ظَلاَمَتُهُ إنَّ الذَلِيلُ الذِي لَيْسَ لَهُ عَصْد.

تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَ يُأَنَقُ الضّيْمُ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدٌ

[1] الجاحظ: البيان والتبيين _دار مكتبة الهلال_بيروت_ 1423 هـ _ج2 _ص171.

فقد كان الجاحظ متأثرا بفكرته حول القران حينما نادى بالإتلاف و الانسجام بين ألفاظ البيت الواحد وبين حروف ألفاظه أو ما أسماه هو بتلاحم الكلام [1] , وقد استدل الجاحظ على فكرته تلك بما قاله رؤبة بن العجاج واصفا رجز ابنه عقبة بأنه "ليس له قران" ,كما استدل الجاحظ بما أنشده ابن الأعرابي من قول الشاعر:

وَبَاتَ يُدَرِّسُ شِعْرًا لاَ قِرَانَ لَهُ قَدْ كَانَ نَقْحُهُ حَوْلاً فَمَا زَادَا

ما يقودنا إلى مفهوم الشعر وعلاقاته هو مصطلح " المولودين " الذي كان يستخدمه الجاحظ بدلا من مصطلح "المحدثين" وهذا طبقا لأهميته ,فالجاحظ بدلا من أن يخوض مع النقاد الأوائل من الرواة والعلماء حول النزاع في أفضلية القدماء أو المحدثين نجده ينقل الأمر إلى ميدان الأعراف ,فيوازن بين العرب (من الحضر والبادية) والمولودين ليقرر أغلبية العرب, والأعراب من البدو والحضر هم في الواقع أشعر من أغلبية المولودين لكن ذلك ليس على إطلاقه في كل ما قالوه ,والفرق بين المولد والأعرابي عند الجاحظ هو أن المولد إذا بذل أقصى ما لديه من جهد مع التركيز العقلي فإنه سيأتي بالأبيات الجيدة التي لا تقل جودة عما يأتي به البدوي, غير أنّ المولد لا يقدر على مواصلة ذلك وأنه سرعان ما يقصر نفسه وتخور قواه فيصير كلامه تخليطا.[2]

ويرى الجاحظ أن هناك عوامل ثلاثة إذا توفرت لدى مجموعة من الناس فإنها تؤهلها لنظم الشعر وهذه العوامل هي : الغريزة , والبلد, والعرق.[3]

ومن هنا يرى بعض الدارسين بأن الجاحظ في تبنيه لهذه النظرة فيما يتعلق بالشعر ,يخالف ابن سلام الذي ربط كثرة الشعر بالحروب ,وقد لاحظ الجاحظ في هذا الصدد أن بني حنيفة وقد كانوا كثيري العدد بأنهم يتصفون

[1] أبو هلال العسكري :كتاب الصناعتين _المكتبة العنصرية _بيروت_1419 هـ _1952م_ ص 108

[2] الجاحظ :كتاب الحيوان _دار الكتب العلمية _بيروت _ط2_1424 هـ_ج4_ص 381.

[3] المرجع نفسه ص 382.

بالشجاعة والفروسية وخاضوا كثيرا من الحروب, وكان يحيط بهم الأعداء من كل جانب كما كانت القبائل الأخرى تجسدهم , إلا أنهم مع ذلك كلّه قد كانوا أقل القبائل شعراً.[1]

وما يمكن قول عن الشعر عند الجاحظ على أنه صناعة وضرب من التصوير ,وأن آراء الجاحظ حول الشعر لم تكن تمثل نظرية متماسكة ومنتظمة ,وفي الواقع فإنه نسبيا لم تكن عنده ما يقوله كثيرا عن هذا الموضوع ,فالشعر عنده يقوم على أركان (الطبع , والصناعة اللفظية , والوزن , و التصوير).

وأكد على أولية الشعر ورأى أنه حديث العهد, فيرجع بذاته في الأدب العربي إلى امرئ القيس والمهلهل ,كما يرجع جذوره إلى أرسطو وأفلاطون في الأدب اليوناني القديم العريق فهم يعتبرون أن الشعر حديث الميلاد ,صغير السن , أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه في الأدب العربي امرئ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة , وكتب طاليس ومعلمه أفلاطون وغيرهم .

كما تميّز الجاحظ بأسلوبه في الشعر ذلك أنه وضع أسلوبا قلدوه فيه ,حيث جعل الجملة قطعة صغيرة مثل الشعر لكن بدون وزن ولا قافية , وهذا ما جعل الجاحظ متميز في شعره بحيث يعد الأسلوب أحد المييزات الكبرى التي يتمتع بها الشعر.

فأسلوب الجاحظ تميز بالسخرية والفكاهة والإضحاك , واتخاذه سبيلا للمواجهة فقد كان يعالج المشكلات ويجابه المواقف بالسخرية , ويواجه الخصوم بالاستهزاء والاستخفاف , كما تفنن في الأجوبة المسكتة , والتخلص الذكي , واستبطان أسرار النفوس مستخدما السخر اللاذع , والفكاهة المرحة والطرائف المسلية ليدفع عن نفوسها عبئ الحياة الثقيلة.

فأسلوب الجاحظ سهل واضح فيه عذوبة وفكاهة واستطراد بلا ملل كما توجد فيه موسوعية ونظر ثاقب وإيمان بالعقل لا يتزعزع , وعرف أسلوبه بإيقاعية وقصر عباراته واستطراداته , مع روح ساخرة ,سخرت من كل

[1] إحسان عباس_ تاريخ النقد الأدبي عند العرب _دار الثقافة _بيروت_لبنان_ط1_1391 هـ_1971م_ ص96.

أشكال القبح في عصره حسّيا كان او معنويا , وأوتي مقدرة بيانية مكنته من مدح الشيء وذمّه, وفي كتابات الجاحظ نجد أسلوبين: أسلوب أنيق فيه صناعة وموازنة وسجع وتأنق في اختيار الألفاظ وترديد للمعنى الواحد في تراكيب مختلفة , يكاد يكون هذا الأسلوب مقصورا على مقدّمات كتبه ومطالع فصوله ,ثم له أسلوب يجري فيه على السليقة ويعالج به الموضوعات التي يتناولها في متون كتبه.[1]

فعصر الجاحظ عصر ازدهار واستقرار ومزيج هائل بالألوان ,فتباينت البيئة العامة والبيئة الفكرية , قد كان لهما أثرهما الواضع في آثار الجاحظ وأعماله الغزيرة, وأسلوبه الأنيق ,فأسلوبه بارز وخاص ,حيث هناك من يعتقد بأن للجاحظ أسلوبين :أسلوب مرسل ليس فيه شيء من التوازن و الترادف , كما هي حال في أسلوبه في كتاب "الحيوان" و " البيان والتبيين ", وأسلوبا مسترسلا أدبيا ,فيه شيء من التوازن والترادف و الازدواج كما هي حال أسلوبه في كتاب "البخلاء" ,ورسالة "التربيع والتدوير" التي سخر فيها من أحمد بن عبد الوهاب ,و رسالة "الشكر" التي مدح فيها وزير المتوكل, ورسالة "وصف قريش", ورسالة "وصف الكتاب"....والظن بأن المرونة ,وهي أكثر سمات أسلوب الجاحظ بروزا أوحت بهذا التباين بين الأسلوبين ,لأنها لوّنت أسلوب الجاحظ , فبدى أدبيا حينا وعلميا أحيانا , فإذا سخر من أحمد بن عبد الوهاب بدا أسلوبه وصفيا قادرا على تقديم صورة تضم نواحي ضعف أحمد وتناقضه وجهله وحمقه وسوء أخلاقه ,وإذا تحدث عن الحيوان بدا أسلوبه مرسلا قادرا على تقديم النظريات العلمية الخاصة بالطب وأمراض الحيوان , وهذه المرونة في الانتقال من موضوع لآخر لا تخرج عن القدرة على التصرف باللغة العربية وهي قدرة على رصيده اللغوي ,أي أنها مرونة لغوية اتسم بها أسلوبه [2].

وهناك من يعتقد بأنه اقترنت المرونة بسمة أخرى ,وهي الملائمة بين الألفاظ و المعاني , أو بين المقال والمقام ,فالجاحظ في كتاب " الحيوان " يقول : << لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ,ولكل نوع من

[1] ينظر:المرجع نفسه ص 388.

[2] عبد الحكيم محمّد حسين :السخرية في أدب الجاحظ , الدار الجماهرية للنشر و التوزيع والإعلان مصراته _ليبيا 1988.ص26.

المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف, والخفيف للخفيف , والجزل للجزل >> [1]. وقد قادته هذه السمة إلى نوع من الواقعية , فعدّ الأدب صورة من الواقع , وإن اضطر إلى استعمال بعض الألفاظ العامية أو الأعجمية كما فعل الجاحظ في كتاب "ا لبخلاء " , بل إن رأيه في رواية النوادر بالطريقة اللغوية التي قبلت فيها خضع التفسيرات متناقضة ,ذهب بعضها إلى أنه سمح باستعمال العامية , وذهب بعض آخر إلى أنه قصر هذا السماح على رواية النوادر وحدها ألا يفسد الإمتاع الذي تقدمه النادرة ,والظن بأن رأيه في رواية النوادر خاص وليس عاما, كما أنه نابع من حرص أسلوبه على ملائمة الألفاظ والكلمات للمعاني والملائمة بين المقال والمقام.

وهناك من يعتقد أنه ليس هناك إمكانية للملائمة بين اللفظ والمعنى إذا لم يتسم الأسلوب بالدقة,وقد كان الجاحظ حريصا على الدقة في أسلوبه ,بحيث ينتقي اللفظ الدال على المعنى و يلتفت في أثناء الانتقاء إلى الجرس والإيقاع وقوة الدلالة ,تبعا لحرصه على الجزالة العربية التي تعني عذوبة الكلام في الفم ولذاته في السمع ,وهو في الغالب ينتقي الألفاظ بمعانيها الحقيقية ,دون أن يميل بها إلى المعاني المجازية للألفاظ ,بل يعني أنه ميال إلى مخاطبة عقل القارئ وفهمه وإدراكه وحواسه بما يقبله العقل وتصيغه الحواس دون جهد في التأويل و التفسير .[2]

وهناك من يعتقد أن تدقيق الجاحظ في الملائمة بين الألفاظ والمعاني احتاج إلى أن يتسم أسلوبه بدقة الأداء إضافة إلى الدقة اللغوية ,والمراد بدقة الأداء استعمال المصطلحات ذات المفهومات المحددة في العلوم و الآداب و الفنون , وقد اسهمت دقة الأداء في مرونة أسلوبه بحيث بدا فيلسوفا في أثناء استعماله لمصطلحات الفلاسفة ,وعالما في أثناء استعمال مصطلحات العلماء ,بيد أنّ دقة الأداء لم تكن مقصورة في أسلوب الجاحظ على اللفظ وحده لأنه لجأ إليها في صوغ تراكيبه أيضا بحيث تنسجم ألفاظها ولا تتنافر , ويبرز جرسها ومعناها دون أي خلل أو تقصير . وفي هذه الدقة في أداء التراكيب المسؤولة عن الوهم الذي أشرت إليه حيث قلت أنّ هناك من يعتقد بأن للجاحظ أسلوبين :أسلوب مرسل وأسلوب مسترسل ,كما أنه هناك سمات أخرى اشتهر بها أسلوب الجاحظ

[1] الجاحظ :الحيوان ص 382.

[2] ياقوت :معجم الأدباء _دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع _ج 16_ص 113.

كالإطناب ,والاستطراد, و بروز الشخصية ,والقدرة على الإضحاك و الإكثار من استشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ,والأمثال , والابتعاد عن التكلف , ولم أر فائدة من تكرارها للاستفاضة شهرتها في الدراسات التي تحدثت عن الجاحظ وخصوصا الاستطراد الذي علله الجاحظ بدفع الملل و السآمة عن القارئ ولجأ في سبيله إلى مزج الجد بالهزل أو الخروج من النثر إلى الشعر.[1]

ب_ابن طباطبا (ت 322 هـ):

يقترب ابن طباطبا لمفهوم صناعة الشعر مع رؤية الجاحظ إذ يقول : << الشعر أسعدك الله ,كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته متجه الأسماع وفسد على الذوق >>[2].

من خلال هذا القول نستخلص أن ابن طباطبا يقف في تحديده للشعر عند خاصيتين: كلام منظوم , وبائن عن المنثور,فهو يجعل النظم شرطا من شروط الشعر , لكن معرفة النظم ليست شرطا لمن لم يصح طبعه , والذي يعوضه بالعروض عند هؤلاء [3]: << فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الإستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزاته ...>>[4].

فالشعر عند ابن طباطبا يتميز عن النثر بالنظم الذي يقوم على الوزن , وعليه فإن الشعر شكل و مضمون فهذه نظرة عقلية جامدة , وما يؤكد على هذا قول الجاحظ لوصفه لعملية بناء الشعر : << فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا وأعد له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه , والقوافي التي توافقه , والوزن الذي يسلس له القول عليه, فإذا اتفق له بيت يشكل المعنى الذي يرومه ,أثبته وأعمل فكره

[1] المرجع السابق ، ص 114.

[2] ابن طباطبا العلوي :عيار الشعر ,منشأة المعارف ,الإسكندرية , مصر ,ط 3, 1984, ص 84.

[3] طرد الكبيسي : في الشعرية العربية "قراءة جديدة في نظرية قديمة ", منشورات اتحاد الكتاب العربي , دمشق, سوريا' د ط, 2004م, ص 22.

[4] ابن طباطبا : عيار الشعر ص3.

في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه, بل يعلق كل بيت يتفق له في نظمه , على تفاوت ما بينه وبين ما قبله >>.[1]

فهو يرى أن الشعر عملية معقدة يجب أن يعتمد فيها على العقل لصياغة المعنى تحت لفظ تتحقق به الصفة الشعرية , كما أنه يصف علاقة الشعر بالنثر بالتداخل في السمات بما يحقق للشعر شعرية أعلى [2], وابن طباطبا بموقفه هذا يخلط بين الصورة والأداء الشعري.

تعرض ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر" للعديد من القضايا التي لها صلة بالشعر أهمها :مفهوم الشعر ,الطبع و الصناعة , اللفظ والمعنى ,السرقات وغيرها . وما يهمنا من هذه القضايا كلها هو مفهوم الشعر عنده بحيث يعتبره كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم , بم خصّ به من نظمه معلوم محدود , فمن صح طبعه و ذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزاته ,و من اضطرب عليه الذوق لم يستغنى من تصحيحه و تقويمه بمعرفة العروض والحذق به , حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه .[3]

فبهذا يجعل ابن طباطبا النظم هو الفرق بين النثر والشعر ,و يعتبر أن الشاعر صحيح الطبع والذوق لا يحتاج إلى العروض في قرض الشعر لأنه يفعل ذلك عن فطرة وسليقة , أما من غاب عنه الذوق فلا بد من تصحيح ذلك بالتمرس على العروض.

ويذكر ابن طباطبا الأدوات التي يجب إعدادها قبل نظم الشعر ومنها التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الإعراب , المعرفة بأيام الناس و أنسابهم , و الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر و غيرها , وجماع هذه

[1] المرجع السابق ص 43.
[2] طراد الكبسي : في الشعرية العربية " قراءة جديدة في نظرية قديمة" ص23.
[3] ابن طباطبا العلوي م ن ص09.

الأدوات كمال العقل , فالشاعر الحق في نظره هو الذي يحسن صياغة شعره فيصفيه من الشوائب ويراجعه مراجعة دقيقة ويحسن حبك أبياته في القصيدة حتى تتآلف وتتجانس لفظا ومعنا.

حدد ابن طباطبا عنوان " عيار الشعر " لكتابه مبينا فيه معايير قياس جودة الشعر والرداءة فيه ,فعيار حسن الشعر هو قبول الفهم له و استيعابه , إضافة إلى ثلاثة عناصر هي :اعتدال الوزن ,صواب المعنى ,وحسن الألفاظ ,فإذا توافر للفهم هذه العناصر الثلاثة تم قبوله له , وأما إذا ما نقص جزء من أجزائه كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه.[1]

" عيار الشعر " كتاب يدل اسمه على محتواه بحق, فهو يجمع بين دفتيه كل ما للشعر وما عليه وكل ما ينبغي على الشاعر أن يتخذه ,وكل ما عليه أن يتجنبه , فقد انفرد مؤلفه (ابن طباطبا) بآراء لم يسبق إليها أحد قبله ,أصبحت مرجعا مهما لآراء النقاد بعده , فهو يتناول كل ما استخلصه النقاد قبله من خصائص الشعر وزاد عليها آراءه, إضافة إلى ابتكاره لخصائص لم يتطرق إليها أحد من قبله في عرضها بشكل مبسط , فقد تبين فيه آراءه كلها في الشعر ليكون ميزانا للشعر ومحكا للشعراء [2].

ويسترسل ابن طباطبا في تعداد أدوات الشعر وإيفاء ميزاته التي تميز النثر ويدرك فاعليته هذه الأدوات في بناء القصيدة و استيعابها لخصائصها الفنية فيقول : << وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد ,ولزوم العدل ,وإيثار الحسن , واجتناب القبيح , ووضع الأشياء في موضعها>>.[3]

ويمكن أن يعد رأي ابن طباطبا في صناعة الشعر من أهم الآراء في هذا المجال فقد كان لآرائه الفضل الكبير على الشعراء والنقاد معا , ولم تفقد حيويتها عبر العصور المتفاوتة وأثبتت مواكبتها للتطور الشعري حتى عصرنا الحاضر , حيث يرى ابن طباطبا أن بناء القصيدة يمر بأربع مراحل هي: تكوّن الفكرة , واختيار الصورة

[1] المصدر نفسه ص 132.
[2] طرد الكبيسي في الشعرية العربية ص 57.
[3] ابن طباطبا العلوي :عيار الشعر ص 153.

الشعرية , وصياغة القصيدة , والتثقيف ,حيث يقول : << فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا , وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه , والقوافي التي توافقه , والوزن الذي سلس له القول عليه, فإذا اتفق له بيت يشكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله , فإذا كملت له المعاني , وكثرت الأبيات ,وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها وسلكا جامعا لما تشتت منها>>[1].

وما يلاحظ من خلال هذا القول هو الكشف عن الشعر من عدمه ,وهذا من خلال التشخيص الدقيق لبناء القصيدة ومنحها كل خصائصها الفنية وسماتها , ويشبه ابن طباطبا الأشعار بالناس على تفاوتهم حيث يقول :<<والشعر على تحصيل جنسه , ومعرفة اسمه متشابه الجملة متفاوت التفصيل , مختلف كالاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم وعقولهم وحظوظهم وشمائلهم وأخلاقهم , فهم متفاضلون في هذه المعاني , وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس , ومواقعها من اختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم واختيارهم لما يستحسنونه منها , ولكل اختيار يؤثره , وهوى يتبعه وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر عليها .>>[2].

و يضع ابن طباطبا حد لمعرفة الشعر الجيد من غيره عبر طريقة نقض الألفاظ وهي تعد ابتكارا في عالم النقد , فيبدأ أولا بتصنيف الأشعار إلى محكمة ومموّهة فيقول في هذا الصدد:<< فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة ,أنيقة الألفاظ , حكيمة المعاني عجيبة التأليف وإذا نقضت وجعلت نثرا تبطل جودة معانيها, ولم تفقد جزالة ألفاظها >>[3], كما يشير إلى طريقة كشف الأشعار الرديئة بنفس الطريق فيقول أيضا في هذا الصدد :<<

[1] المصدر نفسه ص 155.

[2] المصدر نفسه ص 158_160.

[3] محمّد المبارك : استقبال النص عند العرب ,المؤسسة العربية للدراسات و النشر , بيروت , لبنان , ط1 ,1999 م ,ص 65.

ومنها أشعار مموّهة مزخرفة عذبة , تروق الأسماع و الإفهام إذا مرّت صفحا , فإذا حصّلت وانتقدت بهرجت معانيها , وزيفت ألفاظها , ومجّت حلاوتها , لم يصلح نقضها لبناءٍ يستأنف منه >>[1].

ومن هنا يقارن ابن طباطبا بين الشعر الجيّد والشعر المموه من خلال قوله :<<فبعضها كالقصور المشيّدة و الأبنية الوثيقة الباقية على مرّ الدهور , وبعضها كالخيام المؤتدة التي تزعزعها الرياح وتوهيها الأمطار , ويسرع إليها البلى ويخشى عليها التقوض>>[2].

كما حدد ابن طباطبا مميزات وخصائص الشعر في وقته عن الشعر الذي سبقه فيقول:<< ومع هذا , فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء , وافتخارا ووصفا ' وترغيبا وترهيبا إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر من الإغراق في الوصف , والإفراط في التشبيه, وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق , والمخاطبات بالصدق فيحاربون بما يثابون , أو يثابون بما يحاربون , والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم وبديع ما يغربونه من معانيهم , وبليغ ينظمونه من ألفاظهم >>, ومن هنا يلخص ابن طباطبا نظرته في تعامل الشاعر مع الموروث من خلال قوله : << أن يديم النظر في الأشعار التي قد اختزنها لتلتصق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه >>[3].

والمعنى المقصود من هذا كله هو أن ابن طباطبا يدعوا إلى التعامل مع الموروث لتنمية قدراته ويضرب مثلا لذلك عن أحد الشعراء من خلال قوله : << حفّظني أبي ألف خطبة ثم قال لي : تناساها , فتناسيتها , فلم أرد شيئا من الكلام إلا سهل عليّ , فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه , وتهذيبا لطبعه , وتلقيما لذهنه ومادة لفصاحته , وسبيلا لبلاغته >> وهذه النقطة التي طرحها ابن طباطبا والمثل الذي ضربه هو أصح الآراء وأبرز

[1] المرجع نفسه ص 66.
[2] المرجع نفسه ص 67.
[3] المرجع نفسه ص 162.

النتائج في التعامل مع الموروث ,فالشعراء يجب أن يبتكروا ويستحدثوا الصورة الشعرية الجديدة ولا يجب أن يكون كلاً على الشعراء الذين سبقوه , وذلك بالأخذ من معاني شعرهم ويغذى بها شعره.[1]

كما يشير ابن طباطبا إلى أهمية اعتناء الشاعر بقواعد اللغة الأساسية , فهو يعير اللغة الشعرية أهمية كبيرة فيقول في هذا الصدد :<< فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها وأمر بالتحرز منها و نهي عن استعمال نظائرها ولا يضع في نفسه أنّ الشعر موضع اضطرار و أنه يسلك سبيل من كان قبله ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها , فليس يقتدي بالمسيء , وإنما الإقتداء بالمحسن , وكل واثق فيه حجل إلا القليل >>[2] .

و يدعوا ابن طباطبا بأن يعاود الشاعر شعره بالتهذيب والتثقيف والنقد , وأن يتأمل ما قد أداه إليه طبعه وألا يعرضه إلا بعد إصلاحه وثقته من جودته , ومن هنا جعل ابن طباطبا مقاييس لقبول الشعر ورفضه ومعرفة الشعر المحكم المتقن من الشعر المموّه المضطرب ووجوب اختيار الأوزان غير المستكرهة لما لموسيقى الشعر من أثر عميق في النفوس.

كما يؤكد ابن طباطبا على عملية الاتساق الشكلي بين عناصر الوزن والصورة في الشعر,فالقصيدة الجيّدة : هي التي تتوافق عناصرها الشكلية وتتجانس , واطلاع ابن طباطبا على التراث العربي و التخزين الهائل الذي يمتلكه منه فقد استشهد بمئات الأبيات لشعراء من مختلف العصور على تشبيهاته التي قسمها إلى أربعة أصناف وهي : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة , وتشبيه به معنى , وتشبيه به حركة وبطأ وسرعة , وتشبيه به لونا وصوتا .

ابن طباطبا اجتمعت له ملكة قرض الشعر بما جعل شخصيته عالمة بمستويات الإبداع الشعري أكثر من غيرها ممن انتهجوا سبيل النقد فقط . لأن المتلقي المبدع هو الذي يعيننا, وهو المتلقي المنتج الذي يتفاعل مع

[1] طه مصطفى أبو كريشة ,أصول النقد الأدبي , الشركة المصرية العالمية للنشر , القاهرة , مصر ,ط1, 1996, ص 80.
[2] المرجع نفسه ص 165.

النص فيتأثر به ويؤثر فيه لينتج نصا على النص الأول أو يصدر حكما يوجه فيه المبدع أو المرسل إلى مسلك فنيّ يتوافق مع ما يحسبه هذا المتلقي هو الصواب , ومن هنا ومن منطلق خبرته في الشعر وصناعته يرسم ابن طباطبا طريقا للشعراء تجنبهم الوقوع في الخلل أو الزلل فيتبع معهم أسلوب الإخبار والإعلام فيقول : " وأعلم أنّ العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيناها , ومرت به تجاربها "[1].

وهكذا محاورة ابن طباطبا للشاعر هنا ليست محاورة للمبدع فقط , وإنما هي محاورة للمتلقي فيه أيضا فالشاعر حتى يصل إلى مصاف الإبداع الرائع لا بد له من المرور بمرحلة التعلم والتثقف ,وهي مرحلة للتلقي ,فاشتغال ابن طباطبا الكلي كان على التلقي بمفهومه الحديث ولذا يقول الناقد مُحَمَّد المبارك أن محنة ابن طباطبا هي محنة التلقي وإن لم يصرح بذلك,لذا فليس هدف ابن طباطبا من تطويع ناصية الشعر للشاعر.بلوغ غاية المتقن فقط ,فإنما مقصده نيل رضي المتلقي أيضا, بل انه يجعل من اجتلاب المتلقي واجبا من واجبات الشاعر إذا يقول: << فواجب على صانع الشعر أو يصنعه صنعة ,لطيفة مقبولة ,حسنة مجتلبة لمحبة السامع له ,و الناظر بعقله إليه , مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه , والمفترس في بدائه >>[2], ومن هدا النص نجد ابن طباطبا لا يريد بالشعر استرضاء المتلقي العادي فقط , و إنما يرضي جميع أنواع المتلقين لذلك نراه يعدد في صفاتهم من السامع إلى النظر بعقله إلى المتأمل إلى المفترس, فإن كان السمع ابسط صفاته والذي يعني تثبيت النظر, و إدراك الباطن من نظر الظاهر وفي هذا اقتراب من معنى التأويل [3].

وفي الأخير نقول أن ابن طباطبا في عبارة حاول دراسة التلقي , و إن لم يصرح بذلك من خلال بيانه أساليب الصناعة الشعرية المحقة. بالشكل الذي يبهر المتلقي مهما كان وضعه صريحا أو ضمنيا,ومهما كانت ثقافته , ناقدكان أو متخصصا أو سامعا عاديا , وما تركيزه على تعليم الشاعر أو على إتقان النص الشعري سوى بلوغ

[1] قاسم موضي ,نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ,دار الثقافة للطباعة والنشر ,القاهرة ,مصر ,د ط, 1982م, ص 57.
[2] المرجع السابق ص 57.
[3] نقولا سعادة ,قضايا أدبية , دار هارون عبود , بيروت , لبنان , ط1, 1984 م, ص 34.

رضي المتلقي الذي هو عنده هدف الكتابة والإبداع وهو المرمى الذي تقصده مرامي الشعراء , وتبقى هذه فقط محاولات لرصد هذه الظاهرة عند نقادنا العرب الأوائل تحتاج إلى بحوث ودراسات كثيرة لكشف أعوارها واستنباط معانيها .

ج- قدامة بن جعفر (ت 337 هـ):

يقول " قدامى بن جعفر " في مفهوم الشعر بأنه << قول موزون ومقفى , يدل على معنى >>[1], حث يتفق هذا المفهوم مع ثقافة عصره , وكينونة الشعر العربي الذي يشترط فيه أربعة شروط المتمثلة في : الوزن , القافية , والمعنى كما نص عليها في قوله , وكذلك يشرح أكثر في قوله :<< فقولنا " قول " على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر , وقولنا " موزون " يفصله عما ليس بموزون , لأن القول موزون وغير موزون , وقولنا "مقفى " فصل بين ما له قوافي من الكلام الموزون وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع . وقولنا " يدل على معنى " يفصل ما جرى القول على قافية و وزن مع الدلالة على المعنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لأمكنة وما تعذر عليه >>[2].

ولو نلاحظ ما جاء في الشعرية العربية بنظرة شاسعة نرى بأنها لا تخرج عن إطار هذه الحدود الأربعة , فقدامة بن جعفر يحدد مراتب الشعر وفق هذه الشروط الأربعة حيث يقول :<< ولما كانت للشعر صناعة , وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها عل غاية التجويد والكمال , إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع غلى سبيل الصناعات والمهن , فله طرفان : أحدهما غاية الجودة , والآخر غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط >> [3]. وعليه فإنّ قدامى بن جعفر يميز أكثر من نمط شعري , وقد حدد هذا التمييز في معايير التي يرى بأنها مرتبطة بشروط الشعر الأربعة , ومن هنا ينتج تآلف مع بعضها البعض من صفات وهي : (ائتلاف

[1] قدامة بن جعفر :نقد الشعر ,دار الكتاب العلمية , بيروت لبنان ,د ط, د ت, ص 64 .

[2] رجاء عبيد: التراث النقدي " نصوص و دراسة " ,منشأ المعارف , الإسكندرية , مصر , د ط , 1983م ,ص 64.

[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 64.

اللفظ مع المعنى , ائتلاف اللفظ مع الوزن , ائتلاف المعنى مع الوزن , ائتلاف المعنى مع القافية) [1] , ومن هنا يصبح لدينا ثماني مجموعات تحدد مراتب الشعر وفق حالتي الجودة والرداءة كمعيار للتمييز , فعلة الحكم عنده تكمل في الشكل أو الصورة [2] .

يحاول قدامى بن جعفر من خلال رده على علة الجمال في الشعر إلى ما ينطوي عليه من تجانس بين العناصر والأجزاء بالتركيز على الصياغة لقيمة الشعر التي ترتد إلى صورة القصيدة , والتي لا يمكن أن تفهم منفصلة عن عناصرها ليتخذه ذلك معيار لتمييز الشعر بين الجيد والرديء[3], أي أنه ينظر في كل عنصر على حدة حيث يبين علامات الجودة فيه,ثم ينتقل إلى بيان المحسنات العامة للمعاني التي يورد فيها طرفان من ألوان البديع ,ويضع لها مصطلحات,ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان موجبات الحسن أو الجودة في العناصر المركبة, حتى إن تهيمن بيان النعوت,فانتقل إلى ببيان العيوب وأوضحها في العناصر المفردة أولا ثم بعد ذلك ذكر بيان العيوب في العناصر المركبة

ألف قدامة بن جعفر كتاب "نقد الشعر"بين فيه معنى الشعر عنده حيث اعتبره صناعة ,وحصره تحت عناصر أولية يتكون منها:اللفظ والوزن والقافية والمعنى.فهذا الكتاب أحدث ضجة كبيرة في عالم الأدب حيث أنه اختلف فيه العلماء , فمنهم من أثنوا عليه وتصدوا لنصرته مثل : عبد اللطيف البغدادي في تأليفه " كشف الظلامة عن قدامة " , وابن الإصبع في كتاب " الميزان " , ومنهم من رفضوا رأيه الذي تبناه في كتابه مثل : الأميدي , وألف كتاب سماه " تبيين غلط قدامة " , وابن رشيق في كتابه " تزييف نقد قدامة " [4], ومن النقاد فيما

[1] المرجع نفسه ص 70.

2- جابر عصفور : مفهوم الشعر " دراسة التراث النقدي " دار الكتاب المصري , القاهرة , مصر , دار الكتاب اللبناني , بيروت ,لبنان ,ط 1, 2009م , ص 102.

[3] المرجع نفسه ص 103.

[4] قدامة بن جعفر – نقد الشعر ص 88.

يبدوا لنا من كان لهم اتجاه وسطي , لأن هذا الكتاب بناء هندسي انشغل أولاً بتقسيم الأجزاء والأركان فبعد أن أتم هذا التقسيم ملأ هذه الأركان بنقد الشعر.

ومن خلال تعريف قدامة بن جعفر للشعر ركز على مستويين : المستوى الأوّل هو المكونات الشكلية للشعر , أما المستوى الثاني وهو المعاني لهذا لا يكون القول الموزون شعرا انطلاقا من أحد المستويين فلا بد من اعتبارهما معا , لذا رفض الاحتكام إلى مادة المعنى في ذاتها , حيث أنه يتنزل المعنى عنده في مستوى الشكل الذي يشمل العناصر المفردة والمركبة وهو بذلك يفدوا مادة غير مفارقة لشكلها, ومستوى المعنى في ذاته حيث يبحث من منظور قيمته وغايته , وفكرة الجودة والرداءة تنبع من هذه البوابة .

حدد قدامة بن جعفر معايير الجودة في الشعر , حيث أن هذه المعايير عبارة عن شرائط تشمل كل ما هو لفظي , من كلمة وترتيب , ووزن وقافية , وكل ماهو معنوي من شكل القصيدة والتحام الأجزاء , والتزام النعوت واجتناب العيوب , ومن هنا يمكننا تقسيمها إلى نوعين رئيسيين : منه نوع متعلق بالشكل , وآخر متعلق بالمعنى [1].

والنوع المتعلق بالجودة الشكلية ينقسم إلى ثلاثة نعوت :

أ -**نعت اللفظ** : ويشترط فيه الفصاحة والسماحة وخلوه من البشاعة , كقول الشاعر : و لما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسحُ و شُدّتْ عَلَى دُهَمِ المِهَارَى رِحَالُنَا

وَ لَمْ يَنظُرْ الغَادِي الذِي هُوَ رَئِحُ أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ اللأَحَادِيثُ بَيْنَنَا وَ سَالَتْ بِأَعْنَاقِ المِطِيّ الأَبَاطِحُ [2]

1- العياشي السنوسي :مقومات الرؤية النقدية عند أبي علي المرزوقي , منشورات جامعة سيدي مُحَّد بن عبد الله , ظهر المعزاز – فاس – المغرب- ادت _ د ط-ص 82.

[2] ممحمد عبد المنعم خفاجي : محقق نقد الشعر ص 3.

ب– **نعت اللفظ** : ويشترط أن يكون سهل العروض , وجعل من نعوت الوزن الترصيع أي تمييز مقاطع الأجزاء في البيت على السجع , أو تشبيه به , أو من جنس واحد في التصريف , مثل أبيات المنخّل بن عبيد البشكري :

وَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَا ةِ الخِدْرِ فِي اليَوْمِ المطِيرْ. [1]

الكَاعِبِ الحَسْنَاءِ تَرْ فُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَ فِي الحَرِيرْ.

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ القُطَاةِ إِلَى الغَدِيرْ.

فَعَطَفْتُهَا فَتَعَطَفَت كَتَعَطُّفِ الغُصْنِ النَّظِيرْ.

وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَسَتْ كَتَنَفُسِ الظَّبْيِ الغَدِيرْ.

وَلَقَدْ شَرِبَتْ مِنْ المدَا مَةِ بِالتَكْبِيرْ والتَصغِيرْ.

فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَنِي رَبُّ الخَوَرْنَقِ وَ السَدِيرْ.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَنِي رَبُ الشَوِيهَة وَالبَعِيرْ.

ج – **نعت القوافي** : ويشترط فيها أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج , وكذلك جعل من نعوتها التصريع وهو إلحاق العروض بالضرب وزنا وقافية سواء بالزيادة أو بالنقصان, ومن هنا يرى قدامة أن " امرئ القيس " أكثر من يستعمل ذلك فمنه قوله :

قِفَا نَبْكِي مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدُخُولِ فَحَوْمَلِ .

وبعده بأبيات قال :

[1] قدامة بن جعفر :نقد الشعر ص77.

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضُ هَذَا التَدَلُّلِ وإِن كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمِلِي .

وبعده بأبيات قال :

أَلاَ أَيُهَا اللَّيْلُ الطَوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبحٍ وَ مَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ . أما عناصر جودة المعنى تنقسم إلى ثلاثة أقسام بدورها :

أ **-صحة المعنى** : المراد بالصِّحة وضع كلمات في قوالب ملائمة للمحلِّ والحال فعلى الشاعر مراعاة نفسية المتلقي , وأن يتجنب الإحالة والإغراق المفضيين إلى التشويش على المتلقي , وعدم تمكُّن المعنى من ذهنه , فكلما أغرب الشاعر في معانيه وابتعد عن الواقع بمسافة بعيد وقع في الإحالة وابتعد عن الصحة .

ب **– التناسب الغرضي** : ويعني به مطابقة الغرض للمعنى , واختيار الألفاظ التي تلائم الغرض الذي يقول فيه , وتتسم بالابتكار والسبك الجيد [1].

ج- **قضية المبالغة والغلو**: فهذا القسم له علاقة وطيدة بأخويه, ولذا لم يأتي بمثال لهما من خلال هذه المعالجة لهذه الظاهرة, ستتضح هذه العلاقة بحث أن المبالغة والغلو مرتبطة بالصدق والكذب في الشعر [2].

ومن خلال هذه الآراء حول مفهوم الشعر وغيرها كثير في نصوص التراث النقدي العربي , نجد أن النقاد وعلماء الأدب لم يتفقوا على مفهوم قاطع , منطقي , مجدد وشامل للشعر , فقد تعددت المفاهيم وتباينت من حيث الصياغة والمنطلقات , لأن كلمة " شعر " إذا أطلقت أثارت في نفوس الناس معاني مختلفة , حسب دراستهم وصنعتهم وعلمهم , " فالعروضيون أو اللفضيون عامة يفهمون من هذا اللفظ صورته الظاهرة في الوزن والقافية الذين يميزانه عن النثر , أما المناطقة فيرون فيه وسيلة مؤثرة تبعث في النفوس انفعالا ما , فنظروا بذلك إلى ناحيته المعنوية " [3], وبهذا انقسم العلماء النقاد إلى فئة من النقاد والشعراء تؤكد على

[1] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 78.

[2] المرجع نفسه ص 86.

[3] أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي , مكتبة النهضة المصرية , مطبعة الإعتماد , القاهرة , ط3 , 1986م , ص 196.

أهمية الإيقاع و على البنية الخارجية للنص الشعري, وحركة اللغة الفنية وإيحاءاتها التصويرية فيه , وفئة أخرى منهم تولى اهتماما كبيرا بمضمون النص الشعري وتقدم المعنى على اللفظ وتقيس الكلام بما يعود به على العقل في عملية الإدراك و التفكير , وتمكنه من التعرف على الواقع والتعريف به في حدود الحس والتجديد , وإن كانت هذه تفرض أن يكون ذلك ضمن تشكيل خيالي و إطار لغوي متناسب ومتناسق موقع موزون , حيث تشترط أن يجمع الشعر بين ما يقبله العقل والفكر , وبين ما يستسقيه الذوق العام ويدركه الحس معاً [1].

ورغم تباين الآراء واختلاف الأدباء والنقاد على مر العصور حول مفهوم الشعر , فإنّه يبقى في أبسط صوره وأقربها في المعاني المتطورة موهبة ذاتية متميزة قوامها العاطفة المرهفة والذوق الجمالي البارع , والفكر النافذ , والعقل المتوهج والخيال الخصب والبصيرة الثاقبة , واللغة المعبرة الموحية , الثرية الآسرة , موهبة تنمي بالتفكير وتصهر بالتجربة وتصقل بالمعرفة وتغذى بالإحساس وتبلور وتطور بالممارسة , فتتحول إلى طاقة عالية من الفن والإبداع , وقدرة خارقة على النفاذ والتنفّ والحسد والاستلهام والتأثير والتغيير , وتبقى هذه الطاقة صاحبها في توهج دائم وحضور متواصل وتفاعل مستمر مع كل محيط به , وفي تأمل وشوق إلى الإرتباط بحقائق الكون , وتطلع إلى تجاوز العوائق والقيود إلى البحث والكشف والعطاء .

ذلك أنّ الشعر نوع مختلف عن بقية الأنواع الأدبية من حيث شكله ومضمونه معاً , الشعر جنس أدبي له خصائصه الذاتية وطبيعته الخاصة وكيانه المستقل عن غيره , لذا أضحى الشعر العربي مادة للبحث والتحليل والنقد , إلى جانب كونه منطلقا لنشوء كثير من علوم اللغة العربية ومدها بالنصوص والشواهد التي يحتاج إليها الدارسون , وكونه وسيلة إلى تربية الملكة الأدبية وتنمية الموهبة وصقل الذائقة النقدية والبلاغية [2], وإذ راح النقاد والعلماء يدرسونه ويحللونه ويبحثون عن مواطن جماله ومكامن أسراره , وما قد يكون فيه من

[1] ينظر :المرجع نفسه ص 199.

[2] محمّد فاخوري : نقد الشعر ، ص33

جوانب إيجابية تحوز الرضا والقبول والإعجاب , أو جوانب سلبية تكون موضعا للنقد والمؤاخذة , وكثرت الكتب المؤلفة في دراسة الشعر العربي ونقده [1].

وما يهمنا من هذه الكتب هو كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني , وهذا ما سيطرح عدة إشكاليات تقودنا إلى الفصل الثاني والمتمثلة في :

كيف نظر القاضي الجرجاني إلى الشعر؟ وما هي مقوماته في نظره؟ وما هي القضايا التي توقف عندها ؟

[1] المرجع نفسه ص 33.

الفصل الثاني :

حدود وماهية الشعر عند " القاضي الجرجاني "

- ✓ المبحث الأوّل : مفهوم الشعر .
- ✓ المبحث الثاني : مقومات الشعر .
- ✓ المبحث الثالث: بناء القصيدة .
- ✓ المبحث الرابع : خاتمة القصيدة .
- ✓ المبحث الخامس : قضايا الشعر .

1- المبحث الأوّل : مفهوم الشعر

أ- مفهوم الشعر عند القاضي الجرجاني :

قضية تحديد مفهوم الشعر من القضايا الجوهرية التي شكلت جزءا ومحورا مهما من الدراسة لدى " القاضي الجرجاني " في كتابه (الوساطة) ,بل على أساسه أقيمت هذه الوساطة , فقد عالجها واهتم بها كغيره من النقاد هذا العصر الذي تطورت فيه الآفاق النقدية حول الشعر وتشبعت ورسخت أسسها , وبرز نقادها الذين تركوا بصمات جليلة لا يمكن لناقد متمرس أو أديب مبتدئ أن يغفل تلك الأسس والقواعد , يظهر ذلك عند " القاضي الجرجاني " من خلال نصوص كثيرة وبارزة في الكتاب سنحاول استكشاف مفهوم الشعر عنده بالوقوف عند بعض النصوص والمقولات النقدية بالتحليل والمناقشة نجد نص فيه تعريف صريح لشعر القاضي الجرجاني في قوله :<< إنّ الشعر علم من علوم العرب , يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء , ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه , فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مترتبة من الإحسان , ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث , والجاهلي والمخضرم , والأعرابي والمولد >>[1]

من خلال هذا النص يقدم لنا القاضي الجرجاني رؤية شاملة ثم جزئية لمفهوم وطبيعة الشعر, فهو يحدثنا عن فهمه للشعر عامة , قبل أن يتناوله بالدراسة المفصلة , ورؤية واسعة مبنية على نظرته للشعر لا من حيث ماهيته ولكن من حيث سماته وخصائصه [2], فهو ينظر إلى الشعر على أنه ظاهرة متكاملة ثم بين الأسس القائمة عليها فالشعر علم يبحث فيه عن عناصر الإبداع وإنشاء الظاهرة الإبداعية في كلام العرب , كما أن دراسة الشعر عنده مبنية على أساس علمي , فهي قائمة على الإطلاع على دراسات ورؤى سابقيه من النقاد التي حددت الشعر بإطار (الوزن , القافية , القول الموزون , الصناعة ...) ,ثم ما أسعفه عليه فهمه , وهو بهذا يسعى إلى التعقيد

[1] القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 15.

[2] فتحي أحمد: من قضايا التراث العربي , منشأ المعارف , الإسكندرية مصر ,د ت , د ط, ص 92.

لنظرية الشعر أو علم الشعر , هذا المفهوم (العلم) الذي أصبح في القرن الرابع للهجرة قرين حصول صورة الشيء في العقل , ومرتبطا بإدراك الشيء على ما هو به , يعني على مستوى نقد الشعر تحديد الخصائص النوعية للفن الشعري وتحديد العناصر العقلية التي تجعلها قادرين على تمثل الشيء , وبالتالي الحكم عليه ما دام الحكم على الشيء فرعا من تصوره , ويمثل هذا الفهم يمكن أن يكون " علم الشعر " فرعا مستقلا من فروع المعرفة , له مكانته داخل تصنيف العلوم و إحصائها [1].

هذا الإدراك بالنسبة لتحديد مفهوم الشعر ينبني ويهتم بتحديد أدوات الشعر , وكيفية صناعته ويناقش مبدأ العلية في حسن الشعر , ويتوقف عند مبدأ الغاية وما يقترن به من تحديد أهمية الشعر و أثره في النفوس [2] , من هذا البيان حاول القاضي الجرجاني أن يحدد الشعر حدا شموليا متكاملا هو العلم , ثم يندرج في بيان خصوصية هذا العلم والتي تتخلص في جملة من المقومات والأركان التي يقوم عليها هذا العلم في محاولة لبيان العناصر التي تساعد عل خلق وإنتاج نص شعري على درجة عالية من الجمالية والإبداع .

2- المبحث الثاني : مقومات الشعر عند القاضي الجرجاني :

لقد حصر "القاضي الجرجاني " مقومات الشعر في أربعة عناصر و هي عناصر الإجادة في الشعر و تتمثل في مايلي :

أ- الطبع : فهو قضية من القضايا المصطلح التي تشكلت أصولها الأولى بما أكتسبه في المسار النقدي من تفرد الدلالة وتميز مصطلح , حيث أنه شكل هذا المصطلح حقيقة عرفية ونقدية في المرجعية النقدية التراثية ,التي تشكل فيها وعلى ضوءها , فهذا المصطلح متعدد المدلولات ومتشابك فهو مكون رئيسي للإبداع في الكتابة الشعرية بأشكالها وتنوعاتها , وجاءت هذه التسمية في ذوق الشعر ومناقشة مشكلاته الجمالية والبلاغية والدلالية , وارتبط

[1] جابر عصفور , مرجع سابق ص 22.
[2] المرجع السابق ص 23.

المصطلح بشفافية الشعر وكتابيته , إذ أنّ قضاياه ارتبطت بمصطلح الطبع وما تبعه وشظى عنه , لهذا كان الطبع هو الأصل الذي لا غنى عنه في تأليف الشعر , إنه لا نهائي قوامه الحركة المطلقة , وهو العلامة التي تعرف بها الأشياء وتحدد والحالة الأولى لتثبيت الأحاسيس الفطرية الأولية , خاصة إذ غاب فيه الجهد والوعي والاختيار [1] , والطبع في أبسط صورة ما حمل في طيات المعاجم على أنه :<< الطبع والطبيعة , الخليقة و السجية التي جبل عليها الإنسان , وطبعه الله على الأمر بطبعه طبعا , فطره , وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها وأنشأهم عليها , وهي خلائقهم , يطبعهم طبعا , خلقهم >> [2], والطبع ابتداء صنعة الشيء , إذ الطبع في المفهوم المعجمي هو البداية وهو الأصل .

وقد عد النقاد الشعر أن الطبع مقوما أساسيا ورئيسيا للتشكيل الشعري , فأصبح هذا المصطلح عندهم وسيلة النقد وغايته في الحكم على الشعر من حيث جودته أو رداءته , فكان من المفاهيم النقدية والبلاغية التي رافقت عملية الإبداع الشعري , وحاولت تحديد معالمها وضبط أسسها [3].

ويتحول مفهوم الطبع مع القاضي الجرجاني في وساطته ليرتبط بمفهوم الطبائع حيث يكون المنطلق عنده متصلا بالجانب الشخصي , أي يتحول مصطلح الطبع والمطبوع لمنحنى آخر يبتعد عن مقابلته بالتكلف والصنعة , فالطبع عنده مرادف لما يسمى بالموهبة الشعرية , يظهر ذلك من خلال قوله : << وقد كان القوم يختلفون في ذلك , وتتباين فيه أحوالهم , فيرق شعر أحدهم , ويصلب شعر آخر , ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيرهم , وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق >> [4]. فالطبع بمعنى الموهبة هو الذي يجعل هذا الشاعر شاعرا والآخر لا صلة له بالشعر , فهي أصل وشيء فطري لا مكتسب [5], بذلك عدها أكبر مقوم للشاعرية أو

[1] مصطفى دراوش , خطاب الطبع والصنعة , رؤية نقدية في المنهج والأصول , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , 2005م, ص07.
[2] ابن منظور , لسان العرب , ج 8, ص 232.
[3] مصطفى دراوش , المرجع السابق ص 11.
[4] القاضي الجرجاني : المرجع السابق ص 24.
[5] ينظر : إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب , دار الشروق للنشر , ط 1, 2001م, ص 320.

تفرد المبدع , فالطبع عنده يمثل أصل الإبداع الشعري وهو الذي يحفظ الشعر ويخلده , وبالتالي عامل مساعد على نقاوة الشعر و أصالته مع مرور الزمن , وقد جاء مصطلح جديد لمصطلح الطبع عند القاضي الجرجاني , وقد يعد تطويرا له , وهو : (المزاج) , والذي عبر عنه بقوله :<< فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع , ودماثة الكلام يعد دماثة الخلقة ' وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك , وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ , معقد الكلام , وعر الخطاب حتى إنك وجدت ألفاظه في صورته ونغمته , وفي جرسه ولهجته >> [1], فالطبع بهذا المعنى هو الذي يحدد به أسلوب الشاعر ولغته , فهو سر التفاوت في الأسلوب والأداء , لأن الشعر صورة لطبع الشاعر ومرآه لنفسه وتصوير لمزاجه , وما جبل عليه , وهنا يمكن سر التفاوت بين الشعراء , صياغة ومنحى وينابيع شعر [2]. الطبع إذن هو مصدر الشعر , وهو الموهبة التي يمن بها الله على الشاعر والتي تجعله كما قال ابن رشيق القيرواني :<< يشعر بما لا يشعر به غيره >>[3] .

وهذه القوة الخفية شكلت أساسا للتجربة الشعرية السوية وقانونا إبداعيا مرتبطا بسمة الشاعرية , لذا عدها " القاضي الجرجاني " أول العلم ", وروح القول الشعري , وقاعدة مصادره وآليات كتابته , هذه الآليات والمصادر التي لا يمكن بأي حال فصلها عن الطبع المصدر الأول , كما أنّ " القاضي الجرجاني " يستند إلى مزاج الشاعر وحالته النفسية ونوعية طبعه للاحتجاج بأن الطبع ليس واحدا [4] , وأنه يخضع للتطور وفق عدة عوامل كان أولها مزاج الشاعر الذي حدد علاقته بلغة وأسلوبه , فكان مقياسا للتفاضل والتفاوت .

ويبقى الطبع بهذا المفهوم أو ذاك كأساس أول للعملية الإبداعية , غير كاف ليكون وحدة قاعدة هذه العملية , لذا يرى " القاضي الجرجاني " أنه لا بد من صقل وتثقيف هذا الأساس حتى يؤتى ثماره , فالطبع وحدة لا يجدي إلا إذا انضافت أليه الرواية .

---

[1] القاضي الجرجاني المرجع السابق ص 25.

[2] خضر موسى محمّد حمود : موازنة الآميدي و وساطة الجرجاني , ص 71.

[3] ابن رشيق القيرواني :العمدة في صناعة الشعر ونقده ص 115.

[4] مصطفى دراوش , المرجع السابق ص 97.

ب- **الرواية :**

لقد أجمع النقاد السابقون على الرواية شرطا من شروط الفحولة في قول الشعر وقد أورد " ابن رشيق " ما يدل على إلزامية الرواية على المطبوع و أن إطلاق صفحة (الفحل) لا تكون إلا على شاعر الرواية , يقول في هذا الصدد :<< وقد سئل " رؤبة بن عجاج " عن الفحل من الشعراء , فقال :<< هو الرواية >> يريد إذا روى استفحل , قال " يونس بن حبيب " :<< وإنما ذلك لأنه يجمع جيّد شعره معرفة جيّد غيره , فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة >> وقال " الأصمعي " : << لا يصير الشاعر في مسامعه في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب , ويسمع الأخبار , ويعرف المعاني , وقد تدور في مسامعه الألفاظ >>[1] , فالرواية سنة طبيعية عند العرب لأن نتائجها هي التعهد وترويض الألسنة و الأفهام على الكلام البليغ والأساليب الراقية [2].

والقاضي الجرجاني يجعل الرواية معيارا من معايير الشاعرية , يقول : << فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية , وطريق الرواية إلا السمع , وملاك الرواية الحفظ , وقد كانت العرب تروي وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر بعض >>[3], فالرواية عنده تعني التلمذة بدليل أنه مثل ذلك بالشعراء ورواتهم (فزهير كان رواية الأوس , والحطيئة كان رواية زهير ....) [4], وهكذا كانت سنه العرب , ورواية الشعر وحفظه وترسم خطاه من أهم العوامل التي تساعد على صقل الموهبة الفطرية (الطبع) , إذ أنها تعلم الشاعر بطريقة عملية تطبيقية كيفية صياغة الشعر وبلورة معانيه ودقائق أموره ' كما أنها تلعب دورا هاما في بناء شخصية الشاعر وتهذيب ذوقه , وتقوية ذاكرته , وتجويد قريحته , كما تعينه على الإفادة من أشعار غيره لإيجاد وتوليد معان لم يسبق إليها [5] , وملاك ذلك الحفظ لأن الشاعر المطبوع لا يمكنه أن

[1] ابن رشيق القيرواني :المرجع السابق , ص .115

[2] مصطفى دراوش , المرجع السابق , ص 66.

[3] ابن رشيق القيرواني , المصدر السابق ,ص 116.

[4] مصطفى دراوش , المرجع السابق , ص 97.

[5] القاضي الجرجاني , المرجع السابق, ص 23.

يحيط بألفاظ العرب , ويستشف معانيها إلا بالحفظ الذي يعتمد أساسا على السمع , بذلك تصبح الرواية صنعة للطبع , فهي مرتبطة به تثريه وتوسع مجالاته , وهذا يعني أن وظيفة الرواية ذات قيمة أساسية لأثرها في ترسيخ المنوال و إثراء ثقافة الشاعر , والمحدث المطبوع لا يمكن هذه الفضيلة إلا إذا حفظ الكلام وورده واستوعبه [1] , لذلك دعا " القاضي الجرجاني " إلى وصل وربط المحدث من الشعر برواية المتقدم منه على نحو ما يتضمنه قوله :<< أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس , و أوجده إلى كثرة الحفظ أفقر >>[2], والذي وصفه بالمطبوع الذكي وعليه فإن مصطلح الطبع مصطلح مرن يخضع للتطور الدلالي وفق ما تقضيه الممارسة والحفظ , وتبعا للخصوصية الفردية والتطور التاريخي , فهو لا يخص عنصرا دون عنصر آخر .

ج- الذكاء:

الذكاء مبدأ نفسي تنبه له " القاضي الجرجاني " إلى أهميته وأثره في الشاعر وشعره , ولكنه لم يقدم تحديدا دقيقا لمفهومه في الوساطة , إلا ما يلمس منه في قوله : حسن الذوق التصرف على غير مثال يبق لا سيما في اختيار ما يناسب الذوق , وهذا إلى جانب الرواية يقي الشاعر من التقليد وهي التي تذكي الطاقة الخلاقة في نفس المبدع , والذكاء مقترن بالطبع عند " القاضي الجرجاني " لكونهما منحة فطرية قابلة للتطور والنمو بفضل الدربة والمراس , كما أنّ الذكاء هبة فطرية وملكة يستعان بها على الإجادة في الشعر , فضلا في كونها صقلا وإضافة إلى جودة الشعر, فالعملية الإبداعية تظل قرينة خصوصية , وتفرد مردهما إلى شخصية المبدع ذاته , وما تتمتع به من صفات ومواهب ومكونات إطاره الفكرية والفنية , وكيفية تحقق هذه الأسس والمقومات التي أشار إليها [3], فذلك مرتبط بهذا المبدأ النفسي الذي يحتاج بدوره إلى الدربة و المران .

[1] اينظرالقاضي الجرجاني , المرجع السابق , ص 23.

[2] سعاد عثماني : مفهوم النص من خلال رؤية صاحب الوساطة للشعر ص 67.

[3] مصطفى دراوش : المرجع السابق , ص 96.

فالذكاء مصطلحا يشمل ويتضمن القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة و التحليل والتخطيط , وحل المشاكل , وبناء الإستنتاجات , وسرعة التصرف , كما يشمل القدرة على التفكير المجرد , وجمع وتنسيق الأفكار , والتقاط اللغات , وسرعة التعلم , كما يتضمن أيضا حسب بعض العلماء القدرة على الإحساس و إبداء المشاعر وفهم مشاعر الآخرين [1].

وللذكاء أنواع متعددة يمكن إحصائها من خلال دراسة سلوك الإنسان من خلال التعلم والاستنتاج وردة الفعل , وهذه الأنواع تتمثل في ما يلي:

1_الذكاء اللغوي : والذي يمكن أن يمتلكه الإنسان من الإبداع في الكتابة والحديث والخطابة , والذكي لغويا سيكون أكثر قدرة على التعلم ويستخدم اللغة في الوصول إلى أهداف معينة .

2_الذكاء المنطقي : الذي يتضمن القدرة على حل المشاكل المنطقية والمعادلات الرياضية فالإنسان الذكي المنطقي والرياضي يكون أقدر من غيره على التعامل مع المعضلات العلمية وفهمها .

3_الذكاء الموسيقي :المتضمن للمهارة في الأداء الموسيقي وفي تأليفها وتقديرها واستيعابها .

4_الذكاء العاطفي : فهو ذكاء اجتماعي ووجداني الذي يخص العلاقة مع الآخرين , من يمتلك هذا النوع ستكون له القدرة على فهم نوايا ودوافع ورغبات الآخرين .

5_الذكاء الشخصي : وهو ذكاء داخلي يمكن الشخص من فهم قدراته وهو يمكنه من تقدير أفكاره ومشاعره ويمكنه بالتالي من تنظيم حياته بشكل ناجح [2].

[1] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 23.
[2] المرجع السابق ص 23.

ومن هذه الأنواع يجب أن تكون موجودة لدى الشاعر فهي تعتبر مقوم أساسي في الشعر ليكون ذات جودة و يستطيع القارئ فهمه واستيعابه , ولكي يكون كذلك يجب أن تتوفر فيه شروط تتمثل في المثابرة , ومقاومة الإندفاع والاستماع بفهم وتعاطف , وتساؤل دائم ومرونة في التفكير , وأن يكون دائما في سعي نحو الدقة والاستفادة من الخبرات والتعبير عنها بدقة ووضوح في التفكير و أن يستخدم الحواس , وأن يكون مبدع ذا خيال واسع ومتحمس ومرح مع الآخرين [1].

فالذكاء مقوم جاء ليثبت أن كل شاعر لدية ذكاء من نوع خاص ,فهو يكسب بالتدريب والتعليم وهذا بقدرته على التطوير , فهو لا يعتمد على المهارات الفكرية , بل يعتمد أيضا على القدرات العاطفية والجسدية , فهو نظرية أكثر تحديدا متعلق بالمفهوم الرياضي واللفظي , فلا يمكننا تصنيفه بأنه كمية محددة وثابتة قابلة للقياس بل يمكن زيادة الذكاء وتنميته.

د- الدربة :

بالإضافة إلى الذكاء لابد للإبداع من رافد مهم جدا يحلف بصاحبه إلى آفاق التميز وهو الدربة والمران , فالشاعر الحق لا يكتفي بعامل الموهبة والذكاء فقط , بل لا بد أن تصقل بالدربة , لذا عليه دراسة آثار الشعرية الرفيعة والتدرب على العمل الفني [2] , فإذا كان الطبع والرواية والذكاء عناصر تشكل مقومات بل أركان الشعر , فإن الدربة هي مادته , وهي القوة التي تكشف عن أصالة الطبع أو المملكة ومبلغ تمكن الشاعر من رواية شعر غيره[3] , وتقوية وتأصيل الحاسة الفنية لديه , حتى يصل إلى التبريز والسبق ودرجة الذكاء الذي يتميز به شاعر

[1] ميكر –سي_ ميكر شيرلي شيفر , نماذج تدريسية في تعليم الموهوبين , ترجمه داوود سليمان القرنة , نشر دار العبيكان ,2011, ص 67.
[2] خضر موسى محمد محمود: المرجع السابق ص 74.
[3] فتحي أحمد عامر : المرجع السابق ص 93.

على آخر والدربة تمثل تمهيدا لنضج الشاعر بحيث أنها الآلية التي توقظ الطبع وتظهره وتجعله طيعا منقادا , لذا عدت معيارا هاما يسمح للنص الشعري بالارتقاء والانتشار فهي أساس لصقل النص وتثقيفه[1] .

ولطالما عدت الدربة أساسا ومعيارا نقديا لحصول عملية الإبداع عند النقاد القدامى بل عدت شرطا وجزءا مكملا لكل عامل وسبب ومقوم من مقومات العملية الإبداعية , على حد قول " القاضي الجرجاني " :<< ثم تكون الدربة مادة له (...) ولكل واحد من أسبابه >>[2], هذه الخصال مجتمعة هي التي تضمن لمن يحوزها السبق والإحسان وبقدر نصيبه منها تكون مترتبة الشعرية في الجودة , ومنزلته من التفوق .

إذن : الطبع والرواية والذكاء والدربة صفات تنبثق منها قوة الشعر , وقوة الشاعر وهي صفات لا تقف بالشعر والشاعر عند زمن معين , فليس في هذه القضية قديم ومحدث , وجاهلي ومخضرم , وأعرابي ومولد[3] .

والقاضي الجرجاني ينظر إلى الوجوه الأربعة على أنها عمل متماسك وضروري في بناء الشعر , وهو ليس كالدائرة المغلقة لا يدري أين طرفاه , وإنما يجيء العمل الفني وفقها مرنا يقبل الإضافة والتجديد و الإبتكار , ويكون عرضة للاختلاف وتعدد المنازع الشعرية , إذ الشعر فن والفن لا يكون على قالب واحد , ولا يلتزم التعبير طريقة واحدة [4], وهذه العناصر هي أدوات ومقومات الشعر والشاعر في كل عصر وفي كل لسان مهما اختلف الزمان والمكان , يقول القاضي الجرجاني :<< فهذه الأمور عامة في جنس البشر , لا تخصيص لها بالأعصار ولا يتصف بها دهر دون دهر >>[5] , وهذا يتحد لنا وفق رؤية " القاضي الجرجاني " علما من علوم العرب تسهم في تكوينه وتثبيته

[1] مصطفى دراوش :المرجع السابق, ص 71.
[2] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 15.
[3] المرجع نفسه ص 16.
[4] المرجع نفسه ص 17.
[5] فتحي أحمد عامر : المرجع السابق ص 93.

ونشره مهيئات محورية هي : الملكة الفطرية التي يشكلها كل من الطبع والذكاء , والملكة الاكتسابية النركبة , فالشعر تفاعل الطبع والصنعة , إذ إن مقومات قطبية كالرواية والذكاء عمليات عقلية لها بعدها في الإنسان [1].

ومن هنا تحدد لنا وفق رؤية " القاضي الجرجاني " في تحديده لمفهوم ومقومات الشعر , إطار نقدي آخر ينظر إلى الشعر من خلاله , طرفاه الطبع والصنعة .

ويمكن أن نعبر عنها من خلال مخطط كما يلي :

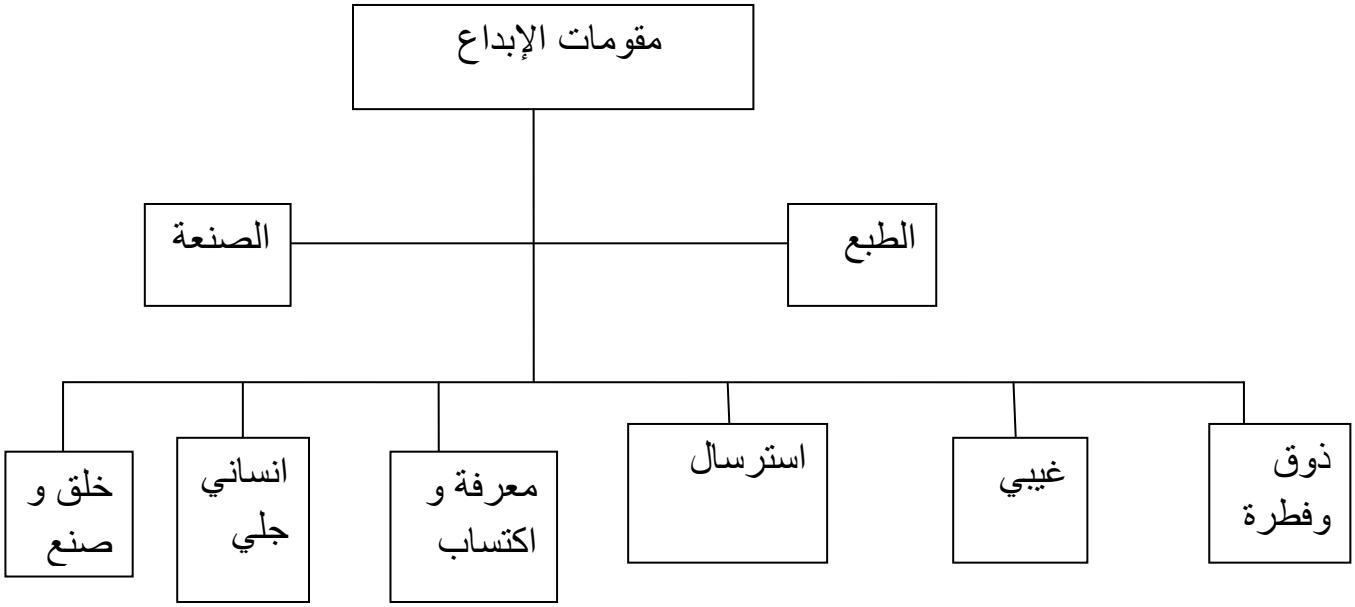

مخطط يمثل الطبع هوية الخطاب الشعري وهو بداية للصنعة التي تعد تهذيبا له أو عدولا عنه

[1] مصطفى دراوش , المرجع السابق, ص 91.

تبعا لهذه الرؤية ينتقل الحديث عن عناصر الإبداع ومقومات تفرد الشاعر إلى مقومي العملية الإبداعية (النص), أو مقومي الأدبية وهما : الطبع والصنعة , يظهر ذلك فيما ورد من مداخلات " القاضي الجرجاني " حول هذا الموضوع , خلال حديثه عن الشعر المطبوع والمتكلف , في نصوص متأثرة في " الوساطة ".

يقول في إحدى هذه المداخلات ضمن حديثة عن الشعر حيث يقول :<< وكان الشعر أحد أقسام منطقها , ومن أن يختص بفضل تهذيب , ويفرد بزيادة عناية , فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة , وانضاف إليها التعمل والصنعة , خرج كما تراه فخما وجزلا قويا متينا >> [1] , فالطبع و الصنعة قيمتان تتصلان بالنص الشعري عنده, و يوحيان لديه بالتكامل لا التضاد [2] , فالعلاقة بينهما علاقة الأصل بالفرع , فالطبع دائما أصل الكلام والتأليف والإبداع وقابليته على التغيير والثراء والعمق موكله إلى فاعلية الصنعة , وهذا التداخل بين المفهومين نشأة وتحصيلاً يمكن أن نكتشف معالمه من خلال ما طرحه " القاضي الجرجاني " في نصه السابق , فمن الشعراء من يملك الطاقة الذاتية عبّر عنها (بالطبيعة و المادة) وهي سمة تفرد المبدع , وهذه الطبيعة تخضع بدورها إلى التهذيب الذي يضفي عليها صيغة التغيير , الذي أطلق عليه مصطلح (الصيغة) والتي تعني عنده الإضافة , لأنها تمثل التأدية الجيّدة والصورة المتقنة لوظيفة الطبع , وبذلك لا يكون بينهما تناقض [3].

وهذا الرأي يوحي بأن " القاضي الجرجاني " استطاع كشف مقومات الشعر التي تتعدى به حدود الموهبة الطبيعية , وترغب في تفعيل العلاقات المنظمة لحركتها وتطويرها, و لأنه لا يمكن أن ينحصر الإبداع مهما تكن نوعيته وجنسه في مجرد الاستعداد والقدرات الذاتية بل كان حقه أن يحظى بالتهذيب , ولذلك فمن اجتماع الطبع بالعادة والصنعة فإن الكلام لا يكون إلا رصينا جزلا .

[1] القاضي الجرجاني , المرجع السابق , ص 24.
[2] سعد أبو رضا : المرجع السابق , ص 138.
[3] مصطفى دراوش , المرجع السابق, 92.

3- المبحث الثالث:

أ- بناء القصيدة عند الجرجاني :

يتشكل النص في كليته من عناصر صغرى (الحروف , الألفاظ , المعاني) , والتجانس بينهما ضروري فهو يحكم تعلقها ببعضها , هذا التعلق يعد نواة الشكلي للنص , إذ الكلام بدون انتظام متجانس وبناء محكم , لا يعد نصا سواء بيتا أو قصيدة [1].

فإذا اعتبرنا أن عناصر عمود الشعر هي مواد النسيج الشعري في لحمته , يبقى للقصيدة شكلها الخارجي المؤلف للأقسام متعددة , تعالج أغراض مختلفة , كما تبقى مسألة العلاقات والنسب بين هذه الأقسام [2] , وهو ما يرسم إطارا هيكليا للنص الشعري يتحدد وفق شكله الفني .

والقصيدة العربية في صورتها القديمة , كانت ذات موضوعات متنوعة ففيها الوقوف لسبب أو لآخر , لكن الإتجاه الأعم كان على ذلك الصورة [3] , فكانت العلاقة بين هذه الموضوعات والانتقال بينها , جزءاً من بناء القصيدة التي تحدد فيها ضمن ثلاث عناصر هي : المطلع , التخلص , الخاتمة .

وقد أشار " القاضي الجرجاني " المفاصل والشاعر الجيّد عنده يراعي ذلك في بناء قصيدته :<< والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة , فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتسليمهم إلى الإصغاء ولم تكن الأوائل تخصها بفضل مراعاة وقد احتذى البحتري على مثالهم إلا في استهلال

[1] أحمد بيكيس: "الأدبية في النقد العربي القديم " عالم الكتب الحديث, إيريد , الأردن , ط 1, 2010 م , ص 127.

[2] محي الدين صبحي : نظرية الشعر العربي من خلال نقد المتنبي في القرن الرابع الهجري , الدار العربية للكتاب , دمشق , سوريا , ط1, 1981م, ص 154.

[3] توفيق الغيل : القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز , مطبوعات الجامعة , الكويت , د ط, د ت , ص 142.

فإنه غني به فاتفقت له فيه محاسن , فأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب واهتما به كل اهتمام ,واتفقا للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن و زاد >>[1].

أن هذا النص يلخص مجمل الآراء " للقاضي الجرجاني " فيما يخص لبناء الفني للقصيدة كما يراها بين المتقدمين و من حذا حذوهم , وبين المحدثين وما تميزوا به عن الأوائل .

وهو يشير إلى أن القصيدة في بنائها ثلاثة أقسام " الاستهلال , التخلص , الخاتمة " , كما يشير إلى أن الشعراء المتقدمين لم يخصوا هذه التقسيمات بفضل المراعاة , وبالمثل قلّ اهتمام المحدثين الذين ساروا على منوالهم في ذلك " كالبحتري " , الذي تميّز عنهم بعنايته " الاستهلال " واهتمامه بتحسينه , أما المحدثون " كأبي تمام " و " المتنبي " فقد انصب اهتمامها على " التخلص " وذهبا فيه كل مذهب .

ومن هنا نشير إلى حدود هذه المفاصل من حيث المفهوم :

أ_ الاستهلال : ويسمى المطلع والافتتاح , وهو ما يفتح به الشاعر ويستهل به قصيدته , فهو أول ما يسمعه المتلقي لذلك وجب أن يكون في غاية الإتقان و الدقة , ذلك أن شدّ السامع ودفعه إلى متابعة الاستماع متوقف عليه[2] , وهذا ابن رشيق القيرواني يعد المطلع مفتاح للقصيدة , لذلك دعا الشاعر إلى تجويده فيقول :<< ينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره , فإنه أول ما يقرع السمع , وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة (...), وليجعله حلوا سهلا , وفخما جزلا >>[3], فلكي يؤدي المطلع وظيفته الجمالية يستحسن أن يصدر شعره بما يكون فيه تنبيه و إيقاظ لنفس السامع , ويثير لها حالة من تعجيب أو تهويل أو تشويق , أي أن يبدأ بصيغ مثيرة ومستفزة [4]

[1] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 48.
[2] أحمد بيكيس , المرجع السابق , ص 128.
[3] ابن رشيق القيرواني ,المرجع السابق , ص 218.
[4] أحمد بيكيس : المرجع السابق , ص 132.

فهو أول ما يتلقاه السامع , مع توفر شروط فنية كالتناسب بين أجزائه والسهولة و الوضوح , ومراعاة جودة اللفظ والمعنى , والبعد عن المعاظلة والتعقيد وحسن توجيه السامع إلى الموضوع[1] .

لذلك عيب على " المتنبي " بعض ابتداءاته التي حولت عيوبا و أخطاء على مستوى الألفاظ والمعاني , مما أفسد المطالع الشعرية , وأخرجها عن جملة الجيّد الحسن إلى دائرة الرديء من الشعر , مما أخذ عليه في ذلك ما أورده " القاضي الجرجاني " في وساطته :

عيب عليه ابتداؤه في قوله :

كُفِيَّ أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكَ أَلْوَمَا هَمٌ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا[2] .

وقد يكون ذلك لما اتسم به شطر البيت الأوّل من تنافر بين الألفاظ وعدم انسجامها مع بعضها , ما بعث على الثقل والتعقيد , وهذا مما ينفر المتلقي ويثقل في سمعه .

ب_**حسن التخلص** :

أما التخلص فهو انتقال الشاعر من المقدمة إلى الغرض الأساس من القصيدة , ومعه تعرف القصيدة تحولا بنيويا , تنتقل فيه من مرحلة شد مسامع المتلقي إلى مرحلة تمرير الخطاب المقصود , لذلك ينبغي أن يكون بطريقة لطيفة وأن يستعمل فيه الشاعر الحيّل حتى لا يشعر السامع بهذا الانتقال , ولهذا السبب اهتم به النقاد[3] .

فلما كانت القصيدة الجاهلية متعددة الأغراض في الغالب , وكان رأي أغلبية النقاد إلزام الشعراء النقاد المحدثين بها , فقد حرصوا حرصا شديدا على الاهتمام بالشكل ,والدقة في الخروج من جزء لآخر , خروجا يشعر بالتحام

[1] محي الدين صبحي , المرجع السابق, ص 155.
[2] ديوان المتنبي ص 15.
[3] أحمد بيكيس ,المرجع السابق , ص 133.

الأجزاء وتماسكها , ومن هنا جاءت العناية بالتخلص من المقدمة إلى الغرض الرئيسي واشتراط الدقة فيه [1] , فهو الذي يدل على حذق الشاعر , وقدرته على الجمع بين أجزاء القصيدة ومفاصلها حتى تبدوا لحمة واحدة .

ويعرض " القاضي الجرجاني " في وساطته العديد من الأمثلة في حسن التخلص من شعر " المتنبي " دون أن يعلق أو يوضع ويبين مواضع الحسن فيها .

مثل : قول " أبي الطيب المتنبي " :

حَدَقٌ يَدِمُّ مِن القَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنُ إِسمَاعِيلَا .[2]

أمّا المستكره من تخلصه مما أخذه عليه الخصوم يقول عنه " القاضي الجرجاني " << ولعل لا تجد له تخلصا مستكرها إلا (...) , قوله :

لَو اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلُّهُمْ إِلَا سَعِيدْ بْنُ عَبْدُ الله بَعْرَانَا [3].

فهي إن لم تكن حسنة مختارة , فليست من المستهجن الساقط >>[4].

بمعنى رغم وجه السوء فيها غلا أن " القاضي الجرجاني " نفى عنها الإستهجان , فقد سلك في خطابه المدافع عن " أبي الطيب " نفس السبيل التي تتبعها في مطالعه , وهي الاعتذار لسقاطته عن طريق استحسانه , فقدم القول بأمثلة حسن تخلصه , لأن " المتنبي " تميز بذلك فبلغ المراد وأحسن وزاد , ثم لا عيب عليه وعد من مستكره تخلصه الذي يراه " القاضي الجرجاني " من القلة التي لا تأثر على نتاجه الشعري بالسلب , كما أنها و إن كانت

[1] يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث , الأندلس , بيروت , لبنان , ط2 , د ت , ص 221.
[2] ديوان المتنبي ص 144.
[3] المصدر السابق ص 182.
[4] القاضي الجرجاني , المرجع السابق ص 155.

من مستكره التخلص فهي ليست من المستهجن الساقط , بل لا ترتقي لما حسن وجاد من تخلصه ,الذي يعد المتنبي من الشعراء المتميزين والمهتمين به .

4- المبحث الرابع :

أ- خاتمة القصيدة :

عناية النقاد بخاتمة القصيدة أقل منها بمطلعها , مع أن الذين عرضوا لها لا يقل اهتمامهم بها عن المطلع وقد أطلقوا عليها اصطلاح " المقطع " ونظروا إليه من الزاوية نفسها التي نظروا من خلالها إلى المقطع من حيث الإهتمام بالسامع والمخاطب [1] , لأن الخاتمة هي الأثر الأدوم بقاء في نفس المتلقي , ويجب أن تشعره بانتهاء الكلام , فإن كان البيت لا يشعر النفس بأن القصيدة انتهت بقي الكلام مبتورا , لأن نفس السامع تظل في ترقب لمزيد من الإيضاح ومزيد من الشرح فيختم الشاعر القصيدة ويقطعها والنفس بها متعلقة , كأنه لم يتعمد ختم القصيدة[2] , فإذا كانت العناية بالمطالع لكونها أول ما يقع في السمع وعليها تتوقف متابعة الاستماع من المتلقي , والعناية بالتخلص كونه جسر العبور إلى الغرض دون انقطاع أو شرح في القصيدة فإن العناية بخاتمة القصيدة لكونها آخر ما يقر في السمع , وبه يتذكر السامع ما سلف , إنها مطلع ثان لقصيدة ستستمر مع المتلقي بعد أن ينتهي المبدع من الإيقاع فتبقى الأكثر علوقا بالنفس لأنها آخر ما يسمع ويقرأ.

ولم نجد في الوساطة أمثلة عن حسن أو سوء خاتمة القصيدة , مما عرضه " القاضي الجرجاني " ربما لأن الإحساس بهذا الحسن والسوء يحتاج من المتلقي أن يقرأ القصيدة كاملة , حتى يستطيع التأثر والشعور بذلك إيجابا أو سلبا , لأن الخاتمة هي آخر جزء من مفاصل القصيدة الذي لا يمكن الحكم عليه إلا من خلال علاقته بالجزأين قبله (الاستهلال والتخلص) .

---

[1] يوسف حسين , المرجع السابق, ص 229.

[2] ينظر : ابن رشيق القيرواني , المرجع السابق , ص 240.

ولقد اهتم " القاضي الجرجاني " بمفهوم بنية القصيدة كوحدة متكاملة النسج والبناء , فنظر إليها من حيث هي الكل , حتى إنه ربط حذق الشاعر ببراعته في الربط بين أجزاء القصيدة " الاستهلال , التخلص , والخاتمة " , على اختلاف أغراض القصيدة حتى تبدوا كالقطعة الواحدة .

فتميز عن غيره من النقاد قبله , الذين كانت نظرتهم للوحدة في القصيدة نظرة جزئية تتصل بوحدة البيت الواحد , فخرج بهذه النظرة الجزئية إلى الشمولية و الاتساع كما كانت نظرية من قبل للمذهب الشعري و أثر التطور فيه , مبنية على الاهتمام بالبنية الفكرية والشكلية للقصيدة , في نوع من التناسق والانسجام بينهما , والهدف من ذلك حمل المتلقي على التأثر بالقصيدة وعلوقها بنفسه , وتأثيرها في ذهنه كاملة كقطعة واحدة , ليتحقق الأثر الكلي للنص , كما ينير بذلك السبيل أمام القارئ الناقد لاتخاذ النظرة الشمولية حدا فاصلا في الحكم بهدف الاعتدال والتوصل فيه .

فإذا كان العمل برمته مستوفيا شروط الحسن متكامل البناء , متضاما إلى بعضه من حيث الوصف والأسلوب وكان عملا رائعا , لا يقدح في جماله خطأ لغوي في كلمة أو خروج عن قاعدة نحوية , ذلك أن القراءة المغرضة اعتمدت سبيل البيت وراحت تتقفى ما يخدم غرضها , خاصة الطرف عن القصيدة كلها , فهي لا تتذرع بالشرح والتفسير بل تتوقف عند اللفظ والمعنى المفرد والأعراب الشاذ [1], وذلك ما يجعل النظرة الشمولية ميزة أساسية في خطاب " القاضي الجرجاني " , " فالمتنبي " مجيد في الناحية ما دامت قصائده تشكل معيارا فنيا شامخا[2] , لذلك " القاضي الجرجاني " اتخذ التأثير في المتلقي مقياسا في الجودة , ومعيارا في الحكم على القصيدة

[1] حبيب مونسي : نقد النقد " المتجر العربي في النقد الأدبي " دراسة في المناهج , منشورات دار الأديب وهران , الجزائر , دط , دت ,ص 39.
[2] المرجع نفسه ص 39.

كوحدة لا أجزاء , لأنها تعتمد على الأثر النفسي الذي ينتقل من خلال النصوص بما يكسوها من فنية وصدق , وروعة الأداء[1] .

غير أن هذه النظرة لا تنفي اعتداد " القاضي الجرجاني " بالنظرة الجزئية التي تظهر من خلال تتبعه للأخطاء والعيوب في الألفاظ المفردة , والأبيات المنفردة التي كانت تطبيقيا لمنهج المقايسة في النقد , كما أن نظرته الشمولية لم تكن بهدف تحقيق الوحدة الفنية والجمالية للنص و إنما لتحقيق الأثر , فهي نظرة ذوقية , ومن هنا نقف عند عدة مواقف مفصلة " للقاضي الجرجاني " في حول بناء القصيدة من جهة والجزئيات من جهة ثانية نستطيع تلخيصها في النقاط التالية :

_ القصيدة في نظر الجرجاني بنية متكاملة الأجزاء , مسجمة المضامين , متساوية الأطراف , وقد أقر ذلك من قبل في تحديده للإطار الشعري فيقول :<< الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء , ثم تكون الدربة مادة له , وقوة لكل واحد من أسبابه >>[2] , فالبيت الشعري كالبيت من الأبنية , قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى [3] , وهي نظرة شكلية تقوم على الاهتمام بهيكلية القصيدة وحدودها البنائية , كما توحي بالوعي النقدي لقيمة الوحدة التي تعد ملمحا يشير إلى مفهوم النص وتركيبه على أساس الصياغة الشكلية , من خلال أجزائه العضوية " الاستهلال , التخلص , والخاتمة " , وهذه الرؤية الشمولية تهدف إلى تحقيق الأثر الكلي للقصيدة بالنسبة للمتلقي , لكن هذا لا يعني إطلاق الأحكام النقدية العامة على الشاعر أو نتاجه الشعري .

[1] فتحي أحمد عامر : المرجع السابق , ص 60.
[2] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 15.
[3] ابن رشيق القيرواني , المرجع السابق . ص 121.

ـ لا يجوز الحكم على إنتاج الشاعر بناء على تتبع عيوب و أخطاء جزئية , في لفظ أو بيت أو مقطع أو قصيدة , وتعميم الحكم على النتاج الشعري بكامله , وما يعاب من أخطاء في ألفاظ ومعان لا يعني الطعن في هذه الوحدة , بقدر ما هو نقد لمواضع الرداءة والحسن , وهي مهمة الناقد .

وبالتالي فمعيار الحكم هو النظرة الشمولية لبناء القصيدة , وإن سقط منها بيت أو معنى , ولعل هذا سبب رئيس في عرض " القاضي الجرجاني " لأغلبية آرائه دون حكم أو تحليل , أما أسلوبه في العرض فهو تمثل وتطبيق لمنهج الأشباه و النظائر من جهة واستحضار المتلقي من جهة ثانية .

ويعد النظر والوعي النقدي لاحتواء آراء خصوم " المتنبي " من النقاد و الشعراء , ومقابلتها بأدلة تعتمد القياس على الأشباه والنظائر لها وفي كل ذلك تحرّ للعدل والتوسط للنص الإبداعي ومن ورائه الشاعر .

وطبيعة الشعر ذا جمال خاص , تختلف عن طبيعة غيره من الخطابات , كما يختلف الجمال الشعري عن الجمال الطبيعي وجمال الواقع النفسي والاجتماعي , فالشعر ليس صورة للمجتمع أو النفس أو الطبيعة , بل كيان مستقل عن الخارج والداخل معا , إنه عالم خاص يسترجع العالم الداخلي أو العالم الخارجي , وإن كان له علاقة بهما[1] , هذه العلاقة هي التي تتحد وفقها هذه الطبيعة الخاصة .

و " القاضي الجرجاني " يصنع حدود هذه العلاقة , فبعد تحديده للصفات والمعالم التي تنبثق , منها قوة الشعر وقوة الشاعر , والتي لا تعترف بحدود الزمان والمكان , ويعود لتحديد بعض السمات التي تحقق للنص الشعري طبيعة خاصة في مجال الأسلوب واللغة من ناحيو , وفي صور الشاعر ومعانيه من ناحية أخرى [2], وسنتبع تميز هذه الطبيعة وفق عامل البيئة وما ينتج عنه .

[1] فاتح علاق : المرجع السابق, ص 155.

[2] أحمد مطلوب :المرجع السابق, ص 290.

وتشمل البيئة الخواص الطبيعية والاجتماعية , التي تتوافر في مكان ما , فتؤثر فيما تحيط به تأثيرا حسيا [1] , يمتد هذا التأثير ليتصل بالعملية الأدبية , والطبع وترتبط حدود البيئة بعاملي الزمان والمكان .

وقد تفطن " القاضي الجرجاني " إلى هذا العامل وعرف مدى تأثيره في العملية الإبداعية , وسعى إلى توضيح هذا الأثر وتفسيره كاتجاه أو تفكير نظري في نقد الشعر, والبيئة عند " القاضي الجرجاني " إما بدوية , و إما حضارية , ويظهر ذلك من خلال ما ورد في كتابه من نصوص حوت آراء صريحة حول نظرته إلى تأثير البيئة في الشعر من ذلك قوله : << ومن شأن البداوة أن نحدث بعض ذلك , ولأجله قال النبيّ ﷺ : << من بدا جفا >> ولذلك تجد شعر عادي وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما أهلان , لملازمة عدي الحضارة و إبطانه الريف , وبعده عن خلافة البدو وجفاء الأعراب >>[2] .

فالبيئة هنا بدوية وحضارية , وتبعا لطبيعة هذه البيئة و خصوصياتها يكون تأثيرها في طبع الشاعر من حيث ميلة إلى الخشونة أو اللين في مزاولة الكتابة , يضرب مثالا لهذا الاختلاف " بعدي والفرزدق ورؤبة ", فالأول تفوق عليهما وشعره أسلس رغم أنه جاهلي , لأنه يلازم الحضارة (المدينة) بينما هذان الأخيران أكثر اتصالا بالبادية و جفاء الأعراب [3] فالألفاظ الخشنة والأسلوب الوعر يرتبط بالبداوة , والألفاظ الرقيقة السلسة , والأسلوب السهل يتبع رقة الحضارة وترف مجتمعها , يقول الجرجاني في هذا الصدد :<< فلما ضرب الإسلام بجرانه , واتسعت ممالك العرب , وكثرة الحواضر , ونزعت البوادي إلى القرى , وفشا التأدب والتظرف اختيار الناس من الكلام ألينه و أسهله , وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا , و ألطفها من

[1] أحمد الشايب: المرجع السابق, ص 129.
[2] القاضي الجرجاني ,المرجع السابق , ص 18.
[3] مصطفى دراوش ,المرجع السابق , ص 67.

القلب موقعا , و إلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها و أشرفها >>[1], فهو هنا يعقد مقارنة بين البداوة والحضارة , فقد أجاز طبع البدوي توظيف مفردات خشنة ثقيلة على اللسان و السمع معا .

وفي المقابل ظهر أثر الإسلام والتحضر في سهولة الكلام وسلامته , إذ يبين أنه مع انتشار الإسلام واتساع الممالك , وكثرة الحواضر و المتغيرات الحضارية و انتشر التأدب و التظرف فاتجه المبدعون إلى ألين الكلام و أسهله , وضح ذلك في اختيارهم لأحسن الأسماء وقعا و ألطفها إلى انتقاء أسلس اللغات فيما تعددت لغاته عند العرب لنفس هذا المعنى , كما رقت معانيهم[2] , فالبدوي إذن مفارق في طبع للحضري ألفاظا وتراكيب .

و يرى " القاضي الجرجاني " أن الجزالة كانت أغلب على القداماء لعاملين هما : العادة و الطبيعة , وأضيف إليهما التعمل و الصنعة , وقد توجد الجزالة عند المحدثين في أفراد قلائل , فلما تحضر العرب طرحوا الألفاظ الخشنة و اقتصروا على الألفاظ السلسة[3] , يقول :<< و أعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق فانتقلت العادة و تغير الرسم , وانتسخت هذه السنة , واحتذوا بشعرهم هذا المثال , وترققوا ما أمكن , وكسوا معانيهم ألطف ما نسخ من الألفاظ , فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول بتبيين فيه اللين , فيظن ضعفا , فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاءًا و رونقًا , وصار ما تخيله ضعفًا رشاقة ولطفًا >>[4].

و على ضوء ما قاله و أنتجه الشعراء اتضح " للقاضي الجرجاني " أثر المكان و العصر في تثمير آليات الإبداع , وهذه الفكرة تدي إلى انهيار المفاهيم السابقة في ربط الفصاحة والبيان بالتقدم في الزمان , ومن هنا فطن إلى تقاطع الحضاري البدوي من حيث الملفوظ اللغوي , وهذا التقاطع يورث الشاعر المحدث تكلفا .

[1] القاضي الجرجاني , المرجع السابق , ص 18.
[2] سعد أبو الرضا :المرجع السابق, ص 138.
[3] حسان عباس :المرجع السابق, ص 321.
[4] القاضي الجرجاني , المرجع السابق , ص 18.

5- المبحث الخامس:

أ- قضايا الشعر عند القاهر الجرجاني :

عالج القاضي الجرجاني العديد من القضايا النقدية في كتابه الوساطة , قدم فيها آراء ووجهات نظر , كان في الكثير منها مخالفا لسابقيه و معاصريه من النقاد وتطرقه لهذه القضايا لم يأت من فرغ , فقد جره إليها انقسام نقاد عصره في نظرتهم للمتنبي يقول :<< إن خصم هذا الرجل فريقان >>[1] , فريق يناصر الشاعر فيعجب بكل ما يقوله وفريق يتصيد أخطأه ويتغاضى عن حسناته , فقد كان المتنبي محور جدل , كما وصفه الثعالبي بقوله :<< وقد ألفت الكتب في تفسيره , وحل مشكلة عويصة وكثرت الدفاتر على ذكر جيده و رديئة , وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه , والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه وتفرقوا في مدحه والقدح فيه والنفح عنه والتعصب له أو عليه >>[2] .

ولهذا يجمع الكثير من الدارسين على أن كتاب الوساطة من << أكثر الكتب اعتدالا و أكثرها بعدا عن التعصب للشاعر أو عليه , و العنوان يمثل بحق الدراسة قلبا وقالبا , إذ أن المؤلف لم يبخسه حقه , ولم يحاول إزاله من مكانته اللائقة به بين فحول الشعراء العربية عامة و المعاصرين له خاصة , كما أنه لم يدع له العصمة فأثبت ما وقع فيه من عيوب وهنات , التي شأنه فيها شأن كل الشعراء المحدثين >>[3] ,فالاعتدال و الوسطية سمة غالبة على كل ما يصدره الجرجاني من أحكام بل وتظهر حتى في تعليقاته وتعقيباته على بعض القضايا التي آثارها , فنجده يتعامل مع كل الشعراء على حد السواء فيقول :<< فأن عثرت له من بعد على زلة , ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عذرا صادقا , أو رخصة سائغة فإن أعوز قيل : زلة عالم , وقل من خلا منها ز أي الرجال المهذب , ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل , ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدا , ولم

[1] المرجع السابق ص 52.

[2] يتيمة الدهر :المرجع السابق, ص 190.

[3] أحسن مزدور : معايير النقد الأدبي في القرن الرابع هجري , مكتبة الأدب , القاهرة , ط2 , 2008م ,ص 176.

نسم به إذا أردنا حقيقة أحد و أي عالم سمعت به ولم يزل و يغلط أو شاعر انتهي إليك ذكره لم يلتف ولم يسقط >>[1], وفي ما يلي نبحث في أبرز قضاياه التي تناولها القاضي الجرجاني في وساطته :

أولا: قضية السرقات الشعرية:

ما يتفق عليه الكثير من الدارسين , في حديثهم عن طريقة تناول القاضي الجرجاني لقضية السرقات الشعرية , أنه قد استفاد مما بدأه أسلافه في تناولهم لهذه القضية خاصة الآميدي والتي كانت مثار خلاف بين الشعراء والنقاد منذ العصر الجاهلي واستمر الحال إلى عصر تأليف القاضي لكتاب الوساطة , ولم تنتهي الكتابة عن هذا القضية حتى عصرنا الحالي , وإن تغيرت المفاهيم والمصطلحات مع مرور الزمن .

وإن كان من سبق القاضي في الحديث عن هذه القضية قد أطال و فصل , وأحاط بجوانب من هذا الموضوع , غير أن الباب ترك مفتوحا لكل ناقد بصير له القدرة على الإضافة , فجاء القاضي الجرجاني و طور آراء سابقيه و أمعن التدقيق و التحليل فيها .

ويمكننا القول إن موضوع السرقات الشعرية قد شغل أكبر نسبة من صفحات الوساطة فمن (385 صفحة) تضمنها كتاب الوساطة , حاز موضوع السرقات على (179 صفحة)أي ما يعادل النصف تقريبا , كان لسرقات المتنبي منها الحصة الأكبر , إذ خصص لها القاضي (155 صفحة) من مجموع الصفحات التي خصصها للسرقات .

وتعدد طرق السرقة و اختلافها من شاعر لآخر سبب في صعوبة التعرف عليها ةهذا ما جعل القاضي يحدد أنواع السرقة بقوله :<< ...فتفصل بين السرقة والغضب , وبين الإغارة و الاختلاس , وتعرف الإلمام من الملاحظة و تفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه و المبتذل الذي ليس احد أولى به , وبين المختص

[1] المرجع السابق ص 177.

الذي حازه المبتدئ فملكه و أحياه السابق فاقتطعه ...>>[1] , فالقاضي الجرجاني ذكر مجموعة من المصطلحات حصر فيها أنواع السرقات << على أننا لا نعرف بالضبط مدلول هذه المصطلحات في ذهن القاضي الجرجاني لأنه لم يفصل لنا فيها القول أو يحدد لنا على الأقل معناها المتعارف عليه >>[2], ومع هذا فقد مثل للبعض من هذه المصطلحات , فاعتبر أن " الغضب " يكون باجتماع اللفظ و المعنى معا في السرقة و نقل البيت أو المصراع , كما في قول لبيد :

وَمَا المالُ وَ الأَهْلُونَ إِلَا وَدَائِعٌ وَ لَا بُدَ يَومًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

و قول الأفوه الأودي :

إِنَمَا نِعْمَةُ قَومٍ مُتْعَةٌ وَحَيَاةُ المرءِ ثَوبٌ مُستَعَارُ

ويعلق بقوله :<< و إن كان هذا ذكر الحياة , وذلك ذكر المال و الولد , وكان أحدهما جعل وديعة و الآخر عارية >>[3].

ويضيف القاضي الجرجاني لهذه المصطلحات مصطلحات أخرى , اعتمدها الشعراء لإخفاء سرقاتهم فكان النقل والقلب و النقض و التأكيد والزيادة وغيرها من المصطلحات التي ذكرها القاضي وكان أكثر توضيحا لمدلولها ومعناها مع كثرة التمثيل لها , كتمثيله للسرقة التي قد تكون < من الأمثال المأثورة فهو يذكر أن الجاحظ حكى عن بعض العلماء أنه كان يقول في دعائه (اللهم ارزقني حمدا ومجدا , فإنه لا حمد إلا بفعال , ولا مجد إلا بمال)

[1] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 161.

[2] محمد مصطفى هدارة , مشكلة السرقات في النقد الأدبي , مكتبة الأنجلو المصرية , (د,ط), 1958م, ص 123.

[3] المصدر السابق ص 161.

فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال : فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده >>.[1]

وهناك مواضع حددها القاضي تمتنع فيها السرقة ومنها :

أ_ المعاني المشتركة التي لا ينفرد بها شاعر دون آخر يقول :<< فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس و البدر , و الجود بالغيث و البحر , والبليد البطيء بالحجر و الحمار , والشجاع الماضي بالسيف والنار ...أمور متقررة في النفوس , متصورة للعقول يشترك فيها الناطق و الأبكم ...حكمت بأن السرقة عنها منتفية >> , ويورد الكثير من الأمثلة عن المعاني المشتركة التي لا تعد سرقة كقول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ القَومِ فَوقَّ رِمَاحِنَا غَدَاةَ الوَغَى تِجَانُ كِسْرَى وَ قَيْصَرَا.

وقريب منه قول أبي تمام :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُم يَومَ الكَرِيهَةُ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الخَطِّيَّ مُدَّعَمَا .

يعلق القاضي عن البيتين :<< وقد وعد هذا من سرقات أبي تمام , ولست أراه كذلك , لأنه ليس أكثر من رفع الرؤوس على القنا , وهذا معنى مشترك لا يسرق >>[2].

ب_ كما أن المعاني المخترعة التي << تداولت واستفاضت على ألسن الشعراء حتى صارت كالمعاني المشتركة لا سرقة فيها , و إن كان الفضل فيها للأول >>[3], فليس كل ما يكرره الشعراء سرقة وبخاصة في الأوصاف <<

[1] مُحَمَّد مصطفى هدارة : المرجع السابق , ص 130.
[2] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 196_197.
[3] المرجع نفسه , ص 196.

كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب و البرد , والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها ,والمهاة في حسنها وصفائها >>[1], وصورة المبتدع المخترع تتضح في قول لبيد :

وَجَلَا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَهَا زُبُرُ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا .

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء , قال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلُ أَبْصَرْتُه فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُور فِي عَسِيبِ يَمَانِي .

يعلق القاضي الجرجاني فيقول :<< و أمثال ذلك مما لا يحصى كثيرة ... وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه >>[2] .

جـ توارد الخواطر واتفاق الهواجس من أهم النقاط التي أشار لها القاضي في حديثه عن السرقات والتي لا يجوز بسببها اتهام الشعراء خاصة المحدثون منهم بهذه النقيصة , فقد يتوافق بيت لشاعر محدث مع بيت لأحد سابقيه , فيتهم بالسرقة << ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده , كأن التوارد عندهم ممتنع واتفاق الهواجس غير ممكن >>[3].

دـ أسماء المواضع و الألفاظ المتداولة المشهورة لا معنى لسرقة فيها , وقد أشار القاضي لهذا في رده على المهلهل بن يموت في ما ادعاه من السرقات على ابي نواس[4] , ومثل للألفاظ المشهورة بقول الشاعر :

تَرَى العَينَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَنَعَانِهَا وَ تَحْسِر حَتَى مَا تُقَلُّ جُفُنَهَا .

ومن قول الأبيرد :

---

[1] المرجع السابق , ص 199.
[2] المرجع نفسه, ص 163_164.
[3] المرجع نفسه, ص 164.
[4] ينظر :مشكلة السرقات في النقد الأدبي ص 127.

وَ قَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى مِنْ الأَمْرِ لِي فِيهِ وَ إِنْ عَظُمَ الأَمْرُ.

ويعلق القاضي فيقول :<< ولا أراهما اتفقا إلا الاستعفاء , وهي لفظة مشهورة مبتذلة فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق و بل جميع الشعر كذلك >>[1] .

وهذه تقريبا أهم المواضع التي ذكرها القاضي وتمتنع فيها السرقة , وإن كان قد أشار إلى مواضع أخرى و لم يفصل فيها لأن من سبقه من النقاد قد أطال الحديث عنها .

وتحديد القاضي لهذه المواضع يضعنا أمام استفهام يطرح حول ماهية السرقة الحقيقية عنده, إن امتنعت السرقة البينة التي يعاب بها الشعراء تقع في أمرين :

1_ المعاني الخاصة التي ينفرد بها الشاعر ويسبق غيره بها , هذه الخصوصية تأتي للمعنى من انفراد أحدهم بلفظ يستعذب , أو ترتيب يستحسن , أو تأكيد يوضع موضعه , أو زيادة اهتدى إليها دون غيره [2], فالسرقة << لا تقع و لا يحكم بوقوعها في الألفاظ , إذ لم تكن خاصة لأنها منقولة و متداولة , ولا في المعاني الخاصة إذا استفاضت و تداولت>>[3] .

2_ كما تقع السرقة باجتماع الألفاظ على معان واحدة باتفاق الأوزان و القافية والروي , و كلما قل التوافق في هذه الأمور قل احتمال وقوع السرقة ولذلك يرى القاضي الجرجاني أن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه وعن رويه و قافيته , فإذا مرّ بالغبي الغفل وجدهما أجنبين متباعدين , وإذا تأملهما الطن الذكي عرف قرابة ما بينهما و الوصلة التي تجمعهما .

[1] القاضي الجرجاني : المرجع السابق , ص 182.
[2] ينظر : المرجع نفسه, ص 163.
[3] مصطفى عبد الرحمن إبراهيم : في النقد الأدبي القديم عند العرب , مكة للطباعة , د ط , 1998م , ص 181 .

ثانيا : قضية الطبع و الشعر المطبوع :

يقول محمود السمرة عن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني فيقول :<< وكلمة الطبع في هذا النص تقابل ما يعرف في النقد الحديث بالموهبة >> [1] , ويؤكد هذا عبده قلقيله حين يعتبر أن القاضي يقصد بالطبع ما نسميه الآن بالاستعداد , وعليه فإن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني يقابله في أيامنا هذه ما يسمى بالموهبة الشعرية أو ما يصطلح عليه البعض بالملكة الإبداعية التي يتفرد بها بعض المبدعين في مختلف الميادين , مما يجعلهم متميزين عن غيرهم بدليل أننا نجد في البيئة الواحدة << الرجل منها شاعرا مفلقا وابن عمه وجار جانبه ولصيق طنبه بكيئا مفحما , وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر و الخطيب أبلغ من الخطيب , فهل ذلك إلا من جهة الطبع و الذكاء >>[2], ولأن الشاعر و الشعراء كان محور الاهتمام في النقد العربي القديم , ومع اختلاف طرق تقييم الأشعار من ناقد إلى آخر اعتبر القاضي الجرجاني أن أجود الأشعار المطبوعة والتي تماثل حسب رأيه شعر البحتري الذي يقول عنه :<< ومتى أردت أن تعرف ذلك عينانا , وتستثبته مواجهة , فتعرف فرق ما بين المطبوع و المصنوع , وفضل ما بين المنقاد و العصي المستكره فاعمد إلى شعر البحتري >>[3], ثم يورد أمثلة على كل غرض و من شعر البحتري المطبوع كقوله عن عفو خاطره :

رَدِّي عَلَى المشتَاقُ يَعضَ رُقَادُهُ أَو فَاشرُكِيهِ فِي اتِصَال سُهَدِهِ

أَسْهَرْتِه حَتَى إِذَا هَجَر الكَرى خَلَّيتِ عَنْهُ وَ نَمْتُ عَنْ إِسْعَادِهِ

وَقَسَا فُؤَادُكَ أَن يَلِينَ لِلَوْعَةِ بَاتَتْ تُقَلْقِلْ فِي صَمِيم فُؤَادِهِ

ولقَد عَزَزْتِ فَهَانَ طَوعًا لِلْهَوَى وَ جَنَبْتُهُ فَرَأَيْتُ ذُلَّ قِيَادِهِ

[1] ينظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب , ص 320.

[2] ينظر : القاضي الجرجاني و النقد الأدبي ص 274.

[3] القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه , ص 23.

مَنْ مُنْصِفِي مَنْ ظَالِمٍ مَلَكَتْهُ وَذِي وَلَمَ أَمْلِك عَسِيرَ وِدَادِهِ

ويعلق القاضي الجرجاني عن هذه الأبيات وغيرها مما أورده من شعر البحتري بقوله :<< هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا , وهل ترى صنعة و ابداعا , أو تدقيقا أو اغترابا >>[1].

وإن كانت الموهبة (الطبع) عند القاضي ضرورية إلا أنها حسب رأيه غير كافية لوحدها لخلق الإبداع الشعري , فلا بد لها من ان تدعم بالرواية ذلك أن حاجة المحدث إلى الرواية أمس , وأوجده إلى كثرة الحفظ أفقر , فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها و العلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية , ولا طريق للرواية إلا السمع , و ملاك الرواية الحفظ , ومن هنا يمكن القول أن الطبع هو الذي يجعل هذا شاعرا و أخاه لا صلة له بالشعر كما أن الطبع يقيم التفاوت بين شاعر وآخر في القبيلة الواحدة , ومن هنا بنا القاضي تصوره القائم على أن الشعر ووقعه في النفس لا يعتمد على أن الشعر ووقعه في النفس لا يعتمد على ما فيه من البديع و الصنعة , بل بالطبع و الصدق كما هو الحال في شعر البحتري لأنه أقرب بنا عهدا , ونحن به أشد أنسا , وكلامه أليق بطباعنا و

أشبه بعاداتنا , و إنما تألف النفس ما جانسها , وتقبل الأقرب إليها[2]

ثالثا : قضية التكلف في الشعر :

من أكثر ما عيب به الشعراء المحدثون في النقد القديم , تكلفهم لغة ليست هي لغة عصرهم كالذي نجده كثيرا في شعر أبي تمام فإنه حاول من بين المحدثين الإقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره , فقال :

فَكَأَنَّمَا هِي فِي السَّمَاع جَنَادِلُ وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي القُلُوبَ كَوَاكِبُ

[1] المرجع السابق , ص 32.
عبد الحكيم راضي : دراسات في النقد العربي , مكتبة الأدب , القاهرة , ط2 , 2006م , ص52.

فَتَعَسَفَ مَا أَمكَن وَ تَغَلْغَلَ فِي التَعَصَب كَيْفَ قَدَر

من هنا كان للجرجاني رأي خاص في قضية الصنعة و التكلف في الشعر , كونه يرى أن المحدث لما أراد الإغراب و الإقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف , و أتم تصنع , مع التكلف المقت ...وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن ,فالتكلف صفة ممقوتة معيبة عند القاضي , ذلك أنها صفة قد يتصف بها الأديب ولكنها ترتبط بالدعاء الإنسان ما لا يحسنه , أو ما ليس فيه أصلا , ومما له دلالة في هذا الصدد أن يجئ التعبير عن صفة الطبع في الأديب بصيغة اسم المفعول (المطبوع) على حين يأتي التعبير عن صفة التكلف لديه بصيغة اسم الفاعل (المتكلف) , مما يشير إلى إحساس بفطرية الصفة الأول , وكون الصفة الثانية وليدة للافتعال و التعمد [1].

فالقاضي يرى أن الكثير من الشعراء المحدثين قلدوا واقتدوا بشعر القدماء , فأثر هذا على أشعارهم التي غلب عليها التكلف وخرجت عن دائرة المطلوع وقد مثل لذلك بأشعار مجموعة من الشعراء , على رأسهم أبي تمام , فالعجب كل العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله :

أأيَامَنَا مَا كُنْتِ إلاَ مَوَاهِبا وَ كُنْتِ بِإسعَاف الحَبِيبِ حَبَائِبَا

سَنَغْرِب تَجْدِيدا لِعَهْدِك فِي البَكَا فَمَا كُنْتِ فِي الأيَام غَرَائِبا

وَمُعْتَرِكٍ لِلشَوْقِ أُهْدِي بِهِ الهَوَى إلى ذِي الهَوَى نُجْلَ العُيُون رَبَائِبَا

كَوَاعِبَ زَارَت فِي لَيَالٍ قَصِيرَة يُخَيَلْنَ لِي مَن حُسْنِهِنَ كَوَاعِبَا

سَلَبْنَ غِطَاءُ الحُسْنَ عَن حُرّ أَوْجِهٍ تَظَل لُبِّ السَّالِبِيهِا سَوَالِبا

وُجُوهٌ لَو أَنَّ الأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِب تَوَقَدُ للسَارِي لَكَانَت كَوَاكِبَا

[1] المرجع السابق ص 53.

ويعلق القاضي الجرجاني على هذه الأبيات بقوله :<<كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغَث وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغرر في ديوانه كيف يرضي أن يقرن إليها تلك الغرر , وما عليه لو حذف نصف شعره , فقطع ألسن العيب عنه ولم يشرع للعدو بابا في ذمه >>[1].

ومن أجل أن يؤكد هذا القول , وينفي عن نفسه صفة التهجم على أبي تمام يورد مقاطع تراوح فيها شعره بين مطبوع حسن أفسده أبي تمام بأن أضاف إليه شعرا متكلفا رديئا , ومن هنا نجد الكثير من النقاد وعلى رأسهم " القاضي الجرجاني " يربطون بين لغة الشعر ومسألة الطبع والتكلف , فالشعر المطبوع هو ما انسجم فيه المعجم مع طبيعة العصر والبيئة , فتكون الغرابة مع البداوة , والسهولة مع التحضر , وهذا في كل عصر , وإذا اختل هذا المقياس فكانت لغة الحضر بداوية , عدَّ ذلك تكلفا , وكلام القاضي عن التكلف متشعب في وساطته , لارتباطه بالكثير من القضايا , وربما يكون ما ذكرناه قسط قليل من كثير ذكره القاضي .

رابعا: قضية عمود الشعر ومذهب البديع :

استطاع القاضي الجرجاني أن يحدد بدقة الأركان أو الأسس التي يقوم عليها عمود الشعر عند العرب , وعمود الشعر هو ما عبر عنه بطريقة العرب , أو تقاليدهم في نظم الشعر وهو بهذا عبارة عن مجموعة من المبادئ الشعرية التي تلخص التي جماليات الشعر العربي القديم , وبالتالي يشكل عمود الشعر معيارا جماليا يقوم على أساسه شعر المحدثين , فإن كان يراد بعمود الشعر الأسس الجمالية التي ينهض عليها بناء القصيدة عند العرب القدامى , فإن هذه الأسس هي السبيل الوحيد للتميز بين مذهب الشعراء القدامى , المستلزمين بعمود الشعر ومذهب المحدثين ممن تحفل أشعارهم بألوان البديع , فنجد القاضي يفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته , وجزالة اللفظ واستقامته , وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب , وشبه فقارب , وبده فأغزر , ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته , ولم تكن تعبأ بالتجنيس و المطابقة , ولا تحفل بالإبداع في الإستعارة , إذا حصل لها عمود

[1] الوساطة : ص 27.

الشعر ونظام القريض , فقد ذكر القاضي الجرجاني ستة اسس يبنى عليها عمود الشعر عند العرب وهي : شرف المعنى وصحته , جزالة اللفظ واستقامته , و إصابة الوصف , ومقارنة التشبيه , و غزارة البديهة , وكثرة الأمثال والشواهد , ومن خلال هذا التحديد يمكن القول أن القاضي الجرجاني جمع خصائص القصيدة العربية القديمة قبل أن تمتد إليها يد التجديد التي ذهبت بمعظم تلك الخصائص كما ندركه في شعر المولودين[1] .

ولا يكتفي القاضي بهذا بل يمثل لعمود الشعر وما يحتفي به من حسن ومتانة وقوة و إلمام بالأركان التي ذكرناها سابقا بقول بعض الأعراب :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَ العَيْسَ تَهْوَى بِنَا بِيْنَ المنِيفَة فَالضَمَار

تَمَتَعَ مِن شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَةِ مِن عَرَار

أَلَا يَا حَبَذَا نَفَحَاتُ نَجدٍ وَ رَيَّا رَوضَةِ غِبَّ القِطَار

وَ عَيشُكَ إذَا يَحُلُّ القَومَ نَجْدَا وَ أَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرَ زَارٍ

ويعلق عن هذه الأبيات بقوله :<< فهو كما تراه بعيد عن الصنعة , فارغ الألفاظ , سهل المأخذ , قريب التناول >>[2] .

وفي المقابل نجد أن القاضي الجرجاني يرى أن البديع الذي يأتي في أشعار القدامى كان يأتي عن عفو خاطر ومن دون قصد , ولهذا يزيد الكلام بهاء ويكسوه رونقا , فلما تكلفه المحدثون و أسرفوا فيه سقط بكلامهم إلى الركاكة و زاده غثاثة و برودة . يقول : << وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدهم , و يتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد , فلما أفضى الشعر إلى المحدثين , و رأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة و الحسن و

[1] النقد الأدبي القديم عند العرب ص 180.

[2] الوساطة ص 38.

تميزها عن أخواتها في الرشاقة و اللطف , و تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع , فمن محسن و مسيء , ومحمود و مذموم , ومقتصد و مفرط >> [1].

خامسا : قضية العلاقة بين الشعر و الدين :

تطرق الجرجاني لهذه القضية ودعا إليها و هو في صدد الدفاع عن المتنبي , و الصلة بين الأدب و الدين أو الفن عامة و الأخلاق الدينية , شغلت العرب و الأمم الأخرى منذ القديم , و من المدهش أن نجد القاضي يجهر برأيه حين يفصل بين الدين والشعر , و يصر على أنه إذا ورد في الأدب ما يعارض الدين , فإن هذا لا يضر الأدب , ولا يحط من قيمته الفنية , ومثل هذا الرأي يدل على أن الرجل كان جريئا يقول ما يعتقد , وهو رأي يجبن كثيرون عن المهاجرة به حتى في أيامنا هذه , والأمر الذي دفع الجرجاني للتطرق إلى هذه القضية هو إنقاص بعض النقاد من قيمة شعر أبي الطيب , بسبب بعض أبياته التي تدل على فساد عقيدته يقول : << و العجب ممن ينقص أبا الطيب , لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله :

يَتَرَسَفْنَ مِن فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أحلَى مِنْ التَوْحِيد

وقوله :

وَ أَبْهَرُ آيَات الْتِهَمِي أَنّهُ أَبُوكَم وَ إحدى مَالَكَم مِنْ مُنَاقِب. [2]

وينطلق دفاع القاضي الجرجاني عن المتنبي في هذا الشأن من المبدأ الأول الذي يشكل أساس كتاب الوساطة , وهو مبدأ المساواة بين الشعراء , وتوخي العدل في إصدار الأحكام النقدية على أشعارهم , ولهذا نجده يورد أشعارا لأبي نواس و غيره من الشعراء ثم يعقب عليها بقوله : << فلو كانت الديانة عارا على الشعر , وكان سوء

[1] المرجع السابق, ص 39.

[2] المرجع نفسه , ص 62.

الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر , لوجب أن يمحى اسم ابى نواس من الدواوين , ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات , ولكان أولادهم بذلك أهل الجاهلية , ومنتشد الأمة عليه بالكفر , ولوجب أن يكون كعب بن زهير و ابن الزبعري و أضرابهما ممن تناول رسةل الله ﷺ و عاب من أصحابه بكما خرسا , وبكاء مفحمين , ولكن الأمرين متباينان , والدين بمعزل عن الشعر >> , وعلى هذا الأساس ينكر القاضي الناقد , صنيع من ينقص من قيمة شعر المتنبي ويتحامل عليه بسبب أبيات يوهم ظاهرها مخالفة أصل من أصول العقيدة الصحيحة في وقت يتغاضى عما هو أشد منها عند شعراء آخرين [1], ويذكر أمثلة عن فساد عقيدة مجموعة من الشعراء المسلمين على قرار ديك الجن و أبي نواس الذي يقول :

يَا عَاذِلِي فِي الدَهْرِ ذَا هَجَرُ لاَ قَدَرُ صَحَ وَ لَا جَبرُ

مَا صَحَ عِندِي مِن جَمِيع الذي يَذكُر إلَا المِوتُ وَ القَبرُ

فاشرب عَلَى الدَهْر وَ أَيَامِهِ فإنَمَا يَهْلكُنَا الدَهرُ

و قوله :

فَدَع العَلَامة فَقَد أطلَعْت غَوَايَتي ونَبَذتُ مَوعِظَتِي وَرَاءَ جِدَاري

مَا جَاءنَا أَحَد يُخبِر أنَه فِي جَنَة مُذ مَات أَو فِي نَار

و قوله :

فَاشرُب عَلَى الدَهرُ وَ أيَامهُ فَإِنَنَا يَهلِكُنَا الَدَهرَ

[1] الوساطة ص 38.

و يعقب القاضي الجرجاني على أبيات أبي نواس بتساؤل كيف لناقد أن يحتمل لأبي نواس هذه الأبيات , فيما يقلل من قيمة شعر أبي الطيب من قاضي القضاة الشاعي الراسخ القدم في الإسلام كما يقول مندور.

ويستخلص القاضي الجرجاني من الموقف الإسلامي العلمي من شعر الماجن ما يمكن أن يسمى إبعاد الدين عن الشعر , ذلك أن الموقف الديني للشاعر لم يؤثر في الأحكام الجمالية على شعره , و عليه الحكم الديني على الشعر شيء , والحكم الجمالي عليه شيء آخر , فقد يخالف الشاعر مبادئ الدين , بل قد يكون كافرا تماما و تظل لشعره رغم ذلك منزلته و قيمته[1] .

سادسا : قضية الخصومة بين القدماء و المحدثين :

من أهم القضايا التي افتتح بها القاضي الجرجاني وساطته قضية القدماء والمحدثين فنجده يعرض لجوانب هذه الخصومة عرضا منهجيا , ويبدو هذا واضحا من مقدمته التي حاول المؤلف من خلالها أن يؤكد على حياده النقدي تجاه طرفي هذه الخصومة .

فيستغرب من موقف بعض علماء عصره الذين يتعصبون للقديم على حساب الحديث فأراد أن يتخلص كم هذا التصور المثالي الذي أحاط بالشعر القديم , بسبب كونه شعر قديم فقط و دون مراعاة أسباب أخرى تنظر لشعر على أنه فن من فنون القول , و لا يستطيع منصف أن ينكر أن العبارة التالية للاضي الجرجاني تشي بمثل هذا الاعتقاد : << و لولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم و اعتقاد الناس فيهم أنهم القدوة , والأعلام والحجة , و لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة , و مردودة منفية , لكن هذا الظن الجميل و الاعتقاد الحسن ستر

[1] ينظر : التفكير النقدي عند العرب , ص 280.

عليه , ونفي الظن عنهم , فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب و قامت في الاحتجاج لهم كل مقام >>[1].

يريد الجرجاني أن يخلع شيئا من ثوب المثالية الذي أحاط بالشعر القديم , دون المسارعة لرفض القديم لقدمه انتصارا للحديث جملة و لشاعره خاصة و لكي يكون منصفا في أحكامه فقد حدد عناصر الفن الشعري و التي من خلالها يمكن الحكم على جودة الأشعار مهما كان زمانها , فيقول : << الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع و الرواية و الذكاء ثم تكون الدربة مادة له , وقوة لكل واحد من أسبابه >>[2], و من هنا يمكن القول أن الجرجاني قد تمكن من وضع معايير يمكننا من خلالها أن نميز و نفاضل بين شاعر و آخر و بالتالي فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو محسن المبرز و لا تفضيل في هذه القضية بين القديم والمحدث , إلا أن حاجة المحدث إلى رواية أمس >> [3].

بل إن القاضي الجرجاني ذهب إلى أبعد من هذا في توضيح أن تعظيم أنصار القديم للقديم لا يقوم على أساس منطقي سليم , ومن أجل تأكيد هذا الطرح يورد القاضي الكثير من القصص التي تؤكد أن النقاد و حتى اللغويين و الرواة , كانوا يسمعون البيت و يستحسنوه فإذا عرفوا أنه لمحدث أنكروه , ذلك أنهم وجدوا أن نقضهم لقولهم أهون غليهم من الاعتراف بإحسان لشاعر مولد , وإن كان هذا لا ينطبق على كل المتعصبين للقديم فمنهم من يشيد بالمحدث إذا أجاد و أحسن كما ذكر القاضي عن أبي رياش القيسي و الذي كان معرفا بالتحامل على هؤلاء و الغض من أبي تمام والبحتري خاصة , حتى إن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة في وقته لقلة الرغبة فيهما , أنه أنشد ذات يوم قول البحتري :

نَظَرتُ إِلَى طَدَّان فَقُلتُ لَيلَى هُنَاكَ وَأَينَ لَيلَى مِن طَدَان

[1] الوساطة ص 14.
[2] المرجع نفسه , ص 23.
[3] المرجع نفسه , ص 23.

وَ دونَ مزَارَهَا إيجافُ شَهرُ وَسَبْعُ للمَطَايَا أَو ثَمَانِ

و لَمَا غَرَبَت أَعرَاف سَلمَى لهن و شَرقَت قُنُنُ القِنَان

تَصْويت البِلَادُ بِنَا إِلَيكُم و غَنَى بالإِيَابِ الحَادِيَان

فقال : أحسن والله من هذا البدوي المطبوع فقيل : إنها للوليد بن عبيد : فقال : أعد , فأعيدت فرجع عن رأيه فيه و حث للناس على رواية شعره , لذا لا يجوز تفضيل شاعر على آخر لأن الأول قديم و الثاني محدث , فالشعر الجيد لا يختص بزمن دون آخر , كما قال ابن قتيبة : << ولم يقصر الله الشعر و العلم و البلاغة على زمن دون زمن , و لا خصّ قوما دون قوم , بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر , وجعل كل قديم حديثا في عصره >> [1], وعليه يمكن أن نحصر عناصر الخصومة الحقيقية بين القدماء و المحدثين في اختلافهم على عمود الشعر و نهج القصيدة , وفي الإيمان بفكرة استنفاذ القدماء للمعاني , ولكي لا يساء فهم موقف القاضي من طرفي هذه الخصومة , يبادر بالقول : << وليس يجب إذا رأيتني أمدح محدثا , أو أذكر محاسن حضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم , أو تنسبني إلى الغض من بدوي , بل يجب أن تنظر مغزاي فيه , و أن تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت , و تقضي قضاء المقسط المتوقف >> [2] , وبهذا القول يبعد القاضي الجرجاني عن نفسه كل شبهة بالميل لطرف دون آخر سواء كان متقدما أو متأخرا . وصاحب الوساطة كما رأينا بنى موقفه في هذه الخصومة , على اعتبار أن المتنبي شاعر عظيم , ولا يقل شاعريته عن غيره من الفحول المحدثين , ولكن فحولته الشعرية ضاعت بين إفراط المعجبين بفنه , و تفريط الكارهين له

[1] ابن قتيبة : الشعر و الشعراء , تح : مفيد قميحة , دار الكتب , بيروت , لبنان , ط 2 , 1985م , ج 1 , ص 63.
[2] الوساطة ص 22.

ومن ثم فهو بحاجة إلى الإنصاف , وهذا يقتضي التسليم بما له من حسنات و ما عليه من سيئات كما يفعل مع غيره من فحول الشعراء المحدثين [1].

سابعا : قضية التعقيد و الغموض في الشعر :

انشغل النقاد و المهتمون بدراسة الأدب منذ القديم و إلى عصرنا الحديث بمسألة التعقيد و الغموض الذي يكتنف بعض النصوص و سواء كان هذا التعقيد يأتي عرضا أو يتعمده المؤلف كأسلوب في الكتابة يتميز به عن غيره , فقد ظل محور تساؤل حول الجدوى منه ففي الشعر مثلا يشترط بعض النقاد الوضوح رغبة منهم في التصوير الحسي , وإعراضا عن التجريد العقلي , في فن الشعر , فطالبوا بالوضوح , واعتبروه مقياسا لجودة المعاني , ومن حسن المعاني لديهم , وأن تكون موجهة للغرض المطلوب , بحيث لا تحتاج إلى إنعام الفكر و إتعابه في استنباطها , ولأن التعقيد والغموض من العيوب التي وقف عليها خصوم المتنبي طويلا , للقدح في شاعريته , رد القاضي الجرجاني بالقول أن وجود شيء منهما في شعر المتنبي لا يسقطه كله , بل أن وجودهما في أشعار من يعدون من فحول الشعراء شائع بالقدر الذي لا يقارن به ما وجد في شعر المتنبي , فيقول : << و لو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب أن لا يروى لأبي تمام بيت واحد , فإنما لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت او بيتين وقد وفر من التعقيد حظهما , وأفسد به لفظهما , ولذلك كثر الاختلاف في معانيه >> [2] , ثم يقول :<< وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب بيتا يزيد معناه على هذا الغموض , أو تعتقد ألفاظه تعقيد أبيات الفرزدق , فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين : التعقيد والغموض , ومن أنصف حجزه حضور البينة عن المنازعة >>[3] .

ويفرق القاضي الجرجاني بين ضربين من الغموض :

---

[1] ينظر : الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم , ص 117.

[2] الوساطة ص 345.

[3] المرجع نفسه ص 346.

غموض سببه غرابة اللفظ بسبب بعد العهد به و غموض في المعنى نفسه مع وضوح في الألفاظ , و يستشهد للضرب الأول من الغموض بالاختلاف الناس في قول تميم بن مقبل :

يَا دَارَ سَلمَى خَلَاءً لَا أُكَلِفُهَا إِلَا المِرَنَةُ حَتَى تَعْرِفَ الدُّنيَا

ويعلق عليه بقوله : << فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة , فقال قائل : هي ناقته وقال آخر : هي موضع دار صاحبته , و قال آخر إنما أراد الدوام و المرونة >>[1].

ويمثل للضرب الثاني من الغموض بقول الأعشى :

إِذَا كَانَ هَدِي الفَتَى فِي البِلَادِ صَدَرَ القَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا

يعلق القاضي الجرجاني فيقول :<< فإن هذا البيت كما تراه سليم النظم من التعقيد بعيد اللفظ عن الاستكراه ... فإذا أردت الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عندي و من الممتنع في رأي أن تضل إليه >>[2] , و لأن الذهن ينفر من الغموض التام بالقدر الذي ينفر من الوضوح التام فإن خير المعاني ما خالط وضوحها شيء من الغموض فلا هي مبتذلة , ولا هي معقدة , وإنما هي تلميح دون تصريح , ورفض القاضي الجرجاني للغموض والتعقيد ينطلق من طبيعة الشخصية العربية التي تميل بذوقها الفطري إلى الوضوح و النفور من التعقيد .

وخلاصة ما قلناه نستطيع أن نؤكد أن الجرجاني قد استطاع أن يناقش جملة من القضايا النقدية التي يرد بها بعض ما أخذه المتحاملون و النقاد من خصوم المتنبي عليه , وهذا بحشده لأهم الآراء النقدية السابقة في تناولها لهذه القضايا , متبعا خطوات نقدية فريدة و متميزة في معالجته لمادة كتابه و مهما يكن الأمر فقد اختلط الجرجاني دربا نقديا فيه كثير من الجدة و التوفيق و هذا ما وقفنا عليه في ما ذكرناه .

[1] المرجع السابق , ص 346.

[2] المرجع السابق , ص 346.

خـــاتمة

خاتمة:

يمكن بعد هذه الدراسة التي نأمل أن تكون قد أجابت عن أكثر الأسئلة المتعلقة بموضوعنا أن نصوغ النتائج التي توصلنا في هذه الجملة من العناصر التالية :

- قضية الحداثة محور تطور و نضج الحركة النقدية القديمة
- يؤكد الجاحظ على أهمية الصياغة في التكوين الشعري و أداء معانيه , وحمل دلالاته.
- يؤكد الجاحظ على ضرورة توفر ثلاثة عوامل لنظم الشعر : الغريزة , و البلد و العرق .
- يؤكد ابن طباطبا على أن الشعر عملية معقدة يجب أن يعتمد فيها على العقل .
- يؤكد ابن طباطبا على أن الشعر يختلف عن النثر و ذلك بالنظم .
- يؤكد قدامة بن جعفر على أن الشعر قول موزون و مقفى يدل على معنى .
- يؤكد قدامة بن جعفر على أن الشعر يقوم على أربعة شروط :المعنى , والوزن والنظم , والقافية .
- يتأسس المنظور النقدي للشعر عند " القاضي الجرجاني " من خلال وظيفته حيث استمد الفكرة من طبيعة الشعر , ومقارنته بين القدماء والمحدثين لأن العصر يساهم في تحديد طابعه اللغوي و يوجهه , فقد أدرك حقيقة الطبيعة الشعرية في علاقتها بالبيئة و أحاط بمقومات تفرد المبدع و العملية الإبداعية .
- استطاعة " القاضي الجرجاني "الكشف عن مقومات الشعر التي تتعدى به الموهبة الطبيعية , التي ترغب في تفعيل العلاقات المنظمة لحركتها و تطويرها , ولأنه لا يمكن أن ينحصر الإبداع مهما تكن نوعيته و جنسه في مجرد الاستعداد و القدرات الذاتية بل حقه أن يحظى بالتهذيب من اجتماع الطبع بالعادة .
- الحصيلة الشعرية في ذهن " القاضي الجرجاني " حصيلة تراكم المفاهيم تكونت على مراحل , أوردها في جملة من الأسس للمفاضلة بين الشعراء, فكان دائم الاتصال بالتطور التاريخي , وكانت شعريته واسعة الأفق لخص من خلالها المعالم التعقيدية لشعرية القصيدة لبناء نظرية شاملة .

خاتمة:

- امتلك " القاضي الجرجاني " نظرة شمولية في خطابه النقدي التطبيقي على مستوى اللغة الشعرية في بنيتها اللفظية التي حدد علاقتها بالمعجم الشعري الخاضع لمعيار التطور الزمني والبيئي و الحضاري , مما جعله يتميز بالانفتاح و الانصياع لمعايير الحداثة الشعرية و مؤثراتها , ما منع اللغة المعيارية , و قد وعى خصوصية اللغة الشعرية التي ترتقي بها عن باقي أنماط الكلام , لأنها تعتمد على الرؤية الجمالية و السمة الفنية .

قـــائمة المصادر والمراجع

✓ **القرآن الكريم :** برواية حفص عن عاصم , مصحف المدينة النبوية , مجمع الملك , فهد لطباعة المصحف الشريف .

✓ **المصادر والمراجع :**

1)_ أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين , المكتبة العنصرية , بيروت , 1419 ه 1952م.

2)_ أسامة عانوني : الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر , بيروت المطبعة الشرقية , د ط , د ت .

3)_ أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي , مكتبة النهضة المصرية , مطبعة الاعتماد القاهرة , الطبعة 3 , 1986.

4)_ أحمد بيكيس : الأدبية في النقد العربي القديم , عالم الكتب الحديث , إيريد , الأردن , الطبعة 1 , 2010م .

5)_ أحسن مزرود : معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري , مكتبة الأدب القاهرة , الطبعة 2, 2008م.

6)إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب , دار الثقافة , بيروت , لبنان , الطبعة 1 1391ه ,1971م .

7)_ابن طباطبا : عيار الشعر , تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام سلام , منشأ المعارف , اسكندرية , مصر , الطبعة 3, 1984.

8)_ ابن تعزي بردي : النجوم الزاهرة , دار الكتب المصرية , القاهرة , د ط , 1956 م

9) - ابن خلدون : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة , لجنة التأليف و الترجمة و النشر جامعة القاهرة , د ط , 1939م.

10) _ ابن عذاري المراكشي : بيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب دار الثقافة , بيروت , د ط , 1983م.

11) _ ابن قتيبة : الشعر و الشعراء , دار احياء العلوم , بيروت , لبنان , الطبعة 3 , الجزء 2 , 1987م .

12) _ ابن منظور : لسان العرب , دار صادر , بيروت , لبنان , الجزئين 3 و8.

13) _ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدبه و نقده , تحقيق عبد الحميد هنداوي , المكتبة العصرية , بيروت , الجزء 1 , د ط , 2004م.

14) _ توفيق الغيل : القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار بن برد إلى ابن المعتز , مطبوعات الجامعة , الكويت , د ط , د ت .

15) _ الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن العصر , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , الطبعة 1 , الجزء 1 , 1983م.

16) _ الجاحظ : الحيوان , دار الكتاب العربي , بيروت , لبنان , الطبعة 2 , الجزء 3 , 1965م.

17) _ الجاحظ : البيان والتبيين , دار مكتبة الهلال , بيروت , الجزء 2 , 1433ه .

18) _ جابر عصفور : مفهوم الشعر " دراسة التراث النقدي " , دار الكتب المصري القاهرة , مصر , دار الكتاب اللبناني , بيروت , لبنان , الطبعة 1 , 1009م .

19) _ حبيب مونسي : نقد النقد " المتجر العربي في النقد الأدبي " دراسة في المناهج , منشورات دار الأديب , وهران , الجزائر , د ط , د ت .

20) _ خضر موسى محمد محمود : موازنة الآميدي ووساطة الجرجاني , عالم الكتب للطباعة و النشر , بيروت , لبنان , الطبعة 1 , 2007م.

21) _ خليل أبو جهجه : الحداثة الشعرية العربية " بين الإبداع و التنظير و النقد " دار المركز اللبناني , بيروت , لبنان , الطبعة 1 , 1995م.

22) _ رجاء عبيد : التراث النقدي " نصوص و دراسة " , منشأ المعارف الإسكندرية , مصر , 1983 م.

23) _ طه أحمد ابراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب " من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري " , د ت , د ط .

24) _ طرد الكبيسي : في الشعرية العربية " قراءة في نظرية قديمة " , منشورات اتحاد الكتاب العربي , دمشق , سوريا , 2004 م .

25) _ طه مصطفى أبو كريشة : أصول النقد الأدبي , الشركة المصرية العالمية للنشر , القاهرة , مصر , الطبعة 1 , 1996م .

26) _ عبد الله بن حمد المحارب : أبو تمام بين ناقديه قديما و حديثا " دراسة نقدية لمواقف خصوم و الأنصار , مكتبة الخانجي , القاهرة , مصر , د ط , 1992م.

27) _ عبد الحكيم محمد حسين : السخرية في أدب الجاحظ , دار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان , مصراتية , ليبيا , د ط , 198م.

28) _ عبد الحكيم راضي : دراسات في النقد العربي , مكتبة الأدب , القاهرة الطبعة 2, 2006م.

29) _ عثمان موافي : الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي " تاريخها و قضاياها " , دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر والتوزيع , الإسكندرية , مصر , د ط , 1998م.

30) _ عيسى علي العاكوب : التفكير النقدي عند العرب " مدخل إلى نظرية الأدب " , الفكر المعاصر , بيروت , لبنان , دار الفكر , دمشق , سوريا , الطبعة 1 , 2000م.

31) _ العياشي السنوسي : مقومات الرؤية النقدية عند أبي علي المرزوقي منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله , فاس , المغرب ,د ط , د ت .

32) _ فتحي أحمد عامر: من قضايا التراث العربي , منشأ المعارف , الإسكندرية مصر , د ت , د ط .

33) _ فاتح عبد الجليل : نظرية الشعر المعاصر في المغرب العربي , مكتبة الأدب القاهرة , مصر , الطبعة 1 , 2007م.

34) _ قاسم موضي : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري , دار الثقافة للطباعة و النشر , القاهرة , مصر , 1982م.

35) _ قدامة بن جعفر : نقد الشعر , دار الكتب العلمية, بيروت , لبنان , د ت . دط.

36) _ محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب , دار النهضة , مصر للطباعة و النشر و التوزيع , القاهرة , مصر , 1996م.

37) _ محمد مبارك : استقبال النص عند العرب , المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت , لبنان , الطبعة 1 ,1999م.

38) _محمد عبد المنعم الخفاجي : محقق نقد الشعر لقدامة بن جعفر , دار الكتاب العلمية , بيروت , لبنان , د ط , د ت .

39) _مصطفى دراوش : خطاب الطبع والصنعة " رؤية نقدية في المنهج و الأصول " , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , د ط , 2005م.

40) _محي الدين صبحي : نظرية الشعر من خلال نقد المتنبي في القرن الرابع الهجري ,الدار العربي للكتاب , دمشق , سوريا , 1981م.

41) _محمد مصطفى هدارة : مشكلة السرقات في النقد الأدبي , مكتبة الأنجلو المصرية , د ط , 1998م.

42) _ مصطفى عبد الرحمن ابراهيم : في النقد الأدبي القديم عند العرب , مكة للطباعة , دط , 1998م.

43) _ ميكر سي ميكر شيرلي شيفر : نماذج تدريسية في تعليم الموهوبين , ترجمة داوود سليمان القرنة , نشر دار العبيكان , د ط , 2011م.

44) _ نقولا سعادة : قضايا أدبية , دار هارون عبود , بيروت , بيروت , لبنان الطبعة 1 , 1984م.

45) _ ياقوت : معجم الأدباء , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , ج 16 , د ط د ت .

46) _يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث الأندلس , بيروت , لبنان , الطبعة 2 , د ت .

47) _ زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجري , دار المعارف بيروت 1975م.

فهرس الموضوعات

الفهرس

العنوان **الصفحة**

كلمة شكر

إهداء.

مقدمة..... أ-ج

مدخل 6

الفصل الأوّل : الشعر عند النقاد القدامى

تمهيد 11

✓ **المبحث الأوّل :** حدود وماهية الشعر قبل " القاضي الجرجاني "..... 14

أ– حدود وماهية الشعر قبل القاضي الجرجاني.....14

✓ **المبحث الثاني :** الشعر عند 15

أ - عند الجاحظ.....15

ب -عند ابن طباطبا.....21

ج- عند قدامة بن جعفر 28

الفصل الثاني : حدود ماهية الشعر عند " الجرجاني "

✓ **المبحث الأوّل :** مفهوم الشعر 36

✓ **المبحث الثاني :** مقومات الشعر 37

- ✓ **المبحث الثالث:** بناء القصيدة 47
- ✓ **المبحث الرابع :** خاتمة القصيدة 51
- ✓ **المبحث الخامس :** قضايا الشعر..... 57

خاتمـــــة 76

قائمة المراجع 79

الفهرس 84

ملخص :

تعددت الأبحاث النقدية الأدبية حول موضوع النظريات الشعرية وهذا لأهميته لدى الكثير من الأدباء والنقاد الأدب العربي ، ومن هنا نجد النظريات الفلسفية المؤسسة للأدب ، ما لفت انتباهي هو الاهتمام الذي أولاه الفلاسفة المسلمون قديما لما يتصل بالشعر وقضاياه ,فقد خصصت بحث هذا حول نظرية الشعر عند بعض الشعراء القدامى خاصة عند القاضي الجرجاني فكان تحت عنوان " نظرية الشعر عند القاضي الجرجاني وقضاياه " وسبب اختاري لهذا الموضوع هو اختلاف آراء النقاد والشعراء فيما بينهم حول نظرية الشعر واتصاله بالنظريات الفلسفية التي تدرس الأدب ,فقسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومدخل ، وفصلين ،مع الخاتمة، تلي قائمة المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات تلقيت صعوبات التي تمثلت في وفرة المصادر والمراجع بحيث كنت أجد صعوبة في التوفيق بين الأفكار وإلمامها ، لكن بفضل الأستاذ المشرف " مكروم السعيد " استطعت أن أنجز هذا البحث المتواضع أشكره جزيل الشكر .

الكلمات المفتاحية :

القضايا – النظرية – الشعرية – قاضي الجرجاني